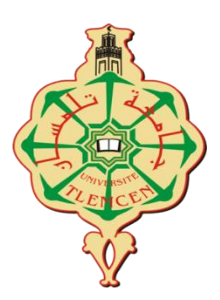
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ

دور أسرة آل أقيت التنبكتية في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالب:

جمال الدين الشيخ

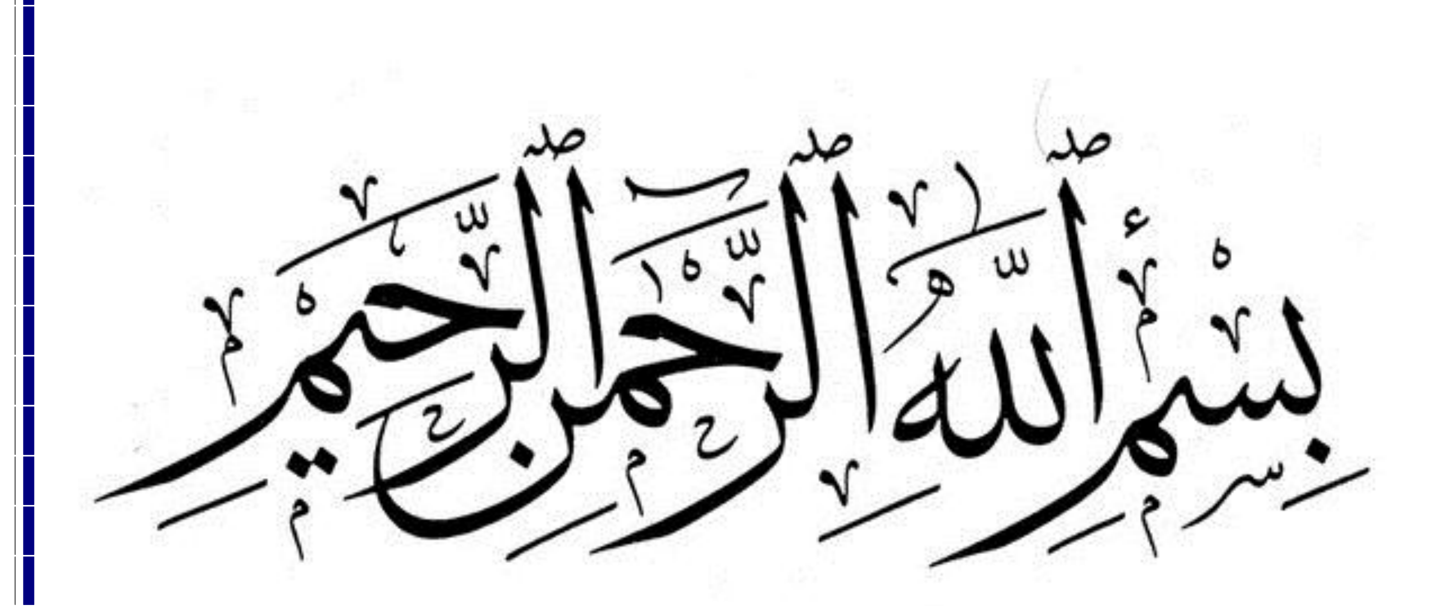
إشراف الأستاذ:

بوشقيف محمد

لجنة المناقشة:

أ.د/ نصر الدين بن داود	رئيسا
د/ محمد بوشقيف	مشرفا ومقررا
د/ نور الدين صابر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: **1440-1441**هـ/ **2019-2020**م.


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أحمد الله الذي منّ عليّ بإتمام هذه المذكرة وأعانني على إنجازها.

الحمد لله الذي أعطاني القوة والعزيمة والصبر للوصول إلى هذا المستوى.

الحمد لله الذي هداني إلى طريق الحق والصواب لأكمل مسيرتي الدراسية بعد قرابة عشر سنوات من التوقف، وكتب لي النجاح في شهادة الباكالوريا في أول فرصة.

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والمحبة إلى منارة طريقي في الجامعة أستاذي المشرف الدكتور بوشقيف محمد على مساعدته وتوجيهاته لإعداد هذه المذكرة.

كما أتقدم بالشكر نيابة عن طلبة قسم التاريخ إلى:

عميد كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية الأستاذ الدكتور نصر الدين بن داود، وإلى رئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور حجازي مصطفى اللذان عملا على إشراك الطلبة في اتخاذ القرارات التي تعنيهم مباشرة، وعلى سهرهما لتوفير الجو الملائم للمناقشة في هذه الظروف.

وأتوجه بالشكر:

للأستاذ قدور وهراني، وإلى كل أساتذة تخصص الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وكل أساتذة قسم التاريخ جامعة تلمسان.

إلى أعضاء اللجنة العلمية المشرفة على مناقشة هذه المذكرة.

إلى موظفي الإدارة، وعمال المكتبة، وأعوان الأمن، ومهندسات النظافة بقسم التاريخ الذين كانوا في خدمة الطلبة وتشجيعهم ومعاملتهم بكل مودة واحترام.

إلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

الإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى:

- من كانت دراستي من أجلهما، سنداي في الحياة أبي وأمي حفظهما الله.
- أختاي الغاليتين على قلبي مع تمنياتي لهما بالنجاح في الدراسة وحياتهما الشخصية.
- ابن أختي محمد مروان شافاه الله مما ابتلاه.
- جدتي أطال الله في عمرها.
- عمي مصطفى وكل أعمامي وعماتي وأبناؤهم وكل عائلة الشيخ.
- خالتي علجية وكل أخوالي وخالاتي وأبناؤهم.
- أخي الذي لم تلده أمي لعرج سفيان.
- أعضاء جمعية الأصالة للتربية والثقافة الذين فتحوا لنا مقرهم للتحضير للباكالوريا.
- من حضّرت معهم لشهادة الباكالوريا، وكل من ساعدني ماديا ومعنويا لاجتياز تلك المرحة .
- الصديقين حويدق أحمد وبوزياني عبد القادر وكل أصدقائي.
- صديقاي مكاحلي أمين وحجام رشيد رحمهما الله.
- زميلاي بن سونة عبد المجيد وسايح يوسف وكل زملائي في قسم التاريخ.
- كل أعضاء النادي العلمي التاشفينية فردا فردا.
- كل سكان قرية العقيد عباس.
- كل طالب علم.
- كل الذين ضحوا بحياتهم من أجل أن تعيش الجزائر حرة مستقلة.

قائمة المختصرات:

الرمز	المعنى
تع	تعليق
تح	تحقيق
مر	مراجعة
تر	ترجمة
تق	تقديم
مجم	مجموعة
مج	مجلد
د.ت	دون تاريخ النشر
ط	الطبعة
ج	الجزء
ت	تاريخ الوفاة
هـ	هجري
م	ميلادي
ق	القرن
ع	العدد
ص	الصفحة
ص ص	من الصفحة إلى الصفحة
p	page

مقدمة

شهدت الحركة الفكرية التي عاشها العالم الإسلامي في العصور الوسطى بروز ظاهرة الأسر العلمية التي حملت لواء العلم على عاتقها، وأدّت أدوارا هامة في تقدم العلوم وازدهارها وتوارث أبناؤها العناية بها، وكانت هذه السمة بارزة وحاضرة في مختلف بقاع البلاد الإسلامية آنذاك، بما في ذلك بلاد السودان الغربي الذي شهد حركة فكرية وأدبية زاهرة، خاصة في الفترة الممتدة من النصف الثاني للقرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إلى غاية نهاية النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي في مختلف حواضره وأشهرها حاضرة تنكبت، التي لعبت الدور الأبرز في الحركة العلمية في عهد دولتي مالي وصنغاي، وذاع صيتها في كل البقاع الإسلامية وتوافد عليها العلماء من مشارق ومغارب العالم الإسلامي.

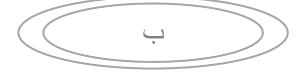
وبرز خلال هذه الفترة عدد من العائلات العلمية التي تزعمت الحركة الفكرية بحاضرة تنكبت من بينها: آل أقيت، آل أندغ محمد، آل بغيغ ...وغيرهم، وحظيت تنكبت بِجُل الأسر المشهورة في بلاد السودان الغربي.

وتعتبر عائلة آل أقيت أبرز العائلات التي تصدرت المجال العلمي في تنكبت، وذلك من خلال مساهمتهم الفعالة في مجال التعليم والتدريس والتأليف، إضافة إلى تقلدهم المناصب الرئيسية في القضاء والإمامة، كما لعبوا دورا هاما في النهوض بالمجتمع في السودان الغربي علميا وثقافيا، وتثبيت تعاليم الدين الإسلامي ونشر اللغة العربية في مختلف ربوعه.

ونظرا للأدوار الثقافية الجليلة التي قامت بها هذه العائلة، كان من الضروري تسليط الضوء عليها بالبحث والدراسة، ومن هذا المنطلق جاء موضوع بحثنا الموسوم ب:

دور أسرة آل أقيت التنبكتية في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي

وترجع أسباب اختيارنا دراسة هذا الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، فالأسباب الذاتية ترجع إلى رغبتنا الشخصية بالبحث في تاريخ بلاد السودان الغربي، حيث تكونت هذه الرغبة أثناء دراستنا لمقياس إفريقيا ما وراء الصحراء في طور الليسانس، وزاد الاهتمام أكثر بالبحث في هذا المجال بعد تخصصنا في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط في طور الماستر، إضافة إلى حضوري بعض مناقشات رسائل



دكتوراه في قسمنا تطرَّقَت إلى مواضيع سياسية في تاريخ هذه المنطقة، فتكونت لدي فكرة إعداد مذكرة تخرج في موضوع علمي أو ثقافي في تاريخ بلاد السودان الغربي، وبعد استشارة الأستاذ المشرف اقترح علي هذا الموضوع وحفزني على معالجته، وعلى هذا الأساس حضَّرت موضوع مذكرتي.

-قلة المواضيع المستقلة بدراسة الأسر العلمية في بلاد السودان الغربي، وشخصيا لم أجد مذكرة تخرج تطرقت إلى هذه الأسرة، باستثناء دراسات تطرقت لجوانب ثقافية وحضارية أدمجت هذه الأسرة في إطار دورها في تلك الجوانب.

- كشف إحدى الجوانب المهمة في تاريخ بلاد السودان الغربي المتمثل في الحركة العلمية في تلك المنطقة.

- إبراز وتوضيح جهود علماء أسرة أقيت في تنشيط الحركة الفكرية ودورهم في نشر العلم وتعاليم الدين الإسلامي في حاضرة تنكبت.

تكمن أهمية هذا الموضوع في قلة الدراسات التي تطرقت لتاريخ العائلات العلمية ببلاد السودان الغربي في العصر الوسيط، هذا ما دفع بنا إلى تسليط الضوء على أسرة هامة من هذه الأُسر هي أسرة آل أقيت التنبكتية، التي كان لها دور هام في الحركة العلمية والفكرية ببلاد السودان الغربي.

تتمحور إشكالية الموضوع حول إبراز مدى مساهمة أسرة آل أقيت في إثراء الحركة العلمية وتنشيطها ببلاد السودان الغربي، والتعرف على أدوارهم ونشاطهم في مدينة تنكبت، وإنتاجهم العلمي في مجال التأليف.

وللإجابة على هذه الإشكالية أرفقناها بمجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

- ماهي خلفية العصر الذي عاشوا فيه وأبرز مكوناته الثقافية ؟
- من هم آل أقيت؟ وماهو أصلهم؟ وكيف استقروا بمدينة تنكبت؟
- من هم العلماء البارزين في هذه الأسرة؟
- من ساعدهم في تكوينهم العلمي وعلى توارثهم العلم في العائلة؟
- كيف كانت علاقتهم بحكام مدينة تنكبت الذين عاصروهم؟
- من هم العلماء الذين جالسوهم وأخذوا عنهم العلوم التي قاموا بتدريسها؟

- ما مدى مساهمتهم في مجال التعليم والتدريس؟
- ماهي الأدوار التي قاموا بها والوظائف التي تقلدوها؟
- كيف جمعوا الكتب والمخطوطات حتى كونوا مكتبات خاصة بهم؟
- ما هو إنتاجهم الفكري الذي ألفوه والعلوم التي ألفوا فيها؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا بوضع خطة بحث تشكلت من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة إضافة إلى ملاحق لتدعيم البحث.

قدمنا في الفصل التمهيدي لمحة تاريخية عن مدينة تنكبت، حيث تطرقنا فيه إلى نشأة المدينة وأصل تسميتها والاختلافات حول كتابتها الصحيحة، إضافة إلى وصف موقعها الجغرافي، ثم عرّجنا على التطورات السياسية للمدينة إذ تطرقنا للدول التي سيطرت عليها منذ تأسيسها إلى غاية الغزو السعدي لها، بعدها عالجنا أهمية المدينة في بلاد السودان الغربي.

أما الفصل الأول تطرقنا فيه إلى المكونات الثقافية للعصر الذي عاشوا فيه، حيث عرّفنا بالمراكز والمؤسسات العلمية في مدينة تنكبت التي نشط فيها علماء أسرة أقيت، وكانوا سببا في بنائها أو ترميمها، ثم عرّجنا على أهم العلوم المتداوَلة تدريسا وتأليفا في المدينة، بعدها قدمنا ترجمة لأهم الأعلام والعلماء من الأسر العلمية في تنكبت كانوا على صلة بعلماء أقيت سواءا بالقرابة أو بالمجال العلمي.

وخصصنا الفصل الثاني للتعريف بأسرة آل أقيت، فتطرقنا إلى أصل العائلة وجذورها الأولى التي نشؤوا منها وكيف استقروا بحاضرة تنكبت، ثم قدمنا ترجمة لأبرز علمائها المساهمين مساهمة فعالة في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي، بعدها عالجنا علاقتهم بالحكام المتعاقبين على حكم البلاد، ثم تعرّضنا إلى محنة العائلة التي قاسَوْا على إثرها أثناء الغزو السعدي للمدينة وقاموا بنفيهم منها.

وعالجنا في الفصل الثالث إسهامات علماء أقيت في الإنتاج الفكري، حيث تتبعنا فيه مصادر تعليم العائلة وتكوينهم العلمي، كما تطرقنا إلى دورهم في مجال التعليم والتدريس، وأشرنا إلى بعض العلماء الذين درسوا على علماء آل أقيت وتحصلوا على إجازات علمية منهم، ثم عرّجنا على الوظائف والمناصب التي

تولاها هؤلاء العلماء كالقضاء والإشراف على المساجد، وخصصنا آخر عنصر في هذا الفصل إلى المكتبات التي امتلكتها عائلة آل أقيت، ومساهمتهم في الإنتاج العلمي في علوم القرآن والفقه واللغة العربية والتاريخ والتراجم والمنطق والتصوف.

وأنهينا بحثنا بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وأتبعناها بملاحق لها علاقة بالموضوع.

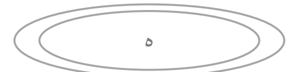
ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على المنهج التاريخي القائم على جمع المعلومات التاريخية الخاصة بالموضوع المتناثرة في مختلف أنواع المصادر المؤرِّخة للمنطقة، ونقدها وتحليلها وتمحيصها لاستنباط دور وتأثير أسرة آل أقيت في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي.

لإثراء هذه الدراسة اطّلعنا على مجموعة من المصادر التاريخية أهمها مصادر المؤرخين السودانيين الذين أرّخوا لبلاد السودان الغربي، ومصادر الرحالة الذين زاروا المنطقة، وكتب التراجم، إضافة إلى مجموعة من المراجع العربية، واستعنّا بالرسائل والمذكرات العلمية الجامعية وعدد من المقالات والدراسات التاريخية التي عالجت بعض جوانب هذا الموضوع، ونكتفي بذكر البعض منها:

المصادر التاريخية السودانية:

- كتاب **"تاريخ السودان"** لعبد الرحمان السعدي (ت1067هـ/1657م): فيه معلومات هامة عن المناصب والمهام التي تولاها أفراد عائلة أقيت في القضاء وإمامة المساجد ودورهم في توسيعها، وأورد مادة عن مواقفهم وعلاقتهم بالسلطة الحاكمة، وتتبّع آل أقيت بعد ترحيلهم إلى مراكش وسجّل تاريخ وفيات شخصيات كثيرة منهم، وهذا ما لم يتوفر في مصدر آخر.

- كتاب **"تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش أكابر الناس"** لمؤلفه محمود كعت (ت1002هـ/1593م): يعد من المصادر الهامة في تاريخ السودان الغربي، توفي وهو يدون أحداث البلاد وأتمه بعده أحفاده، أفادنا بمعلومات عن القضاة من آل أقيت وعلاقتهم بالسلطة، إضافة إلى الحركة الفكرية في تنكبت خاصة في عهد مملكة صنغاي.



كتب الرحالة:

- "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (ت799هـ/1377م): زار المنطقة أيام دولة مالي وقام بوصف البلاد وشعبها وعاداتهم وتقاليدهم.

- "**وصف إفريقيا**" للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي(ت960هـ/1552م): من أهم كتب الرحلات التي كتبت عن بلاد السودان الغربي، تزامنت زيارته مع قيام مملكة صنغاي وفترة ازدهارها، أورد معلومات عن حاضرة تنكبت واعتبرها أهم مركز تجاري في المنطقة وقام بوصف حوانيتها وشوارعها، أمدنا بمعلومات ثقافية أفادتنا في هذا البحث.

كتب التراجم:

- "**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**"، و"**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" لمؤلفهما أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1627م): وهو فرد من أسرة أقيت، يُعد من المصادر الأساسية التي أفادت بحثنا حيث تُعتبر معلوماته أكثر مصداقية لتاريخ هذه الأسرة، أورد فيها مادة علمية ثرية عن أصل عائلته وأهم علمائها ودورهم التعليمي والثقافي وإنتاجهم الفكري وإسهاماتهم في الحياة العلمية بتنبكت.

- "**فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**" لمؤلفه محمد بن أبي بكر الصديق البرتليالولاتي (ت1219هـ/1804م): من كتب التراجم الهامة التي اعتنت بترجمة علماء بلاد السودان الغربي، أورد تراجم لعلماء أسرة أقيت أضاف لها معلومات لم ترد في تراجم أحمد بابا.

المراجع:

اعتمدنا على مجموعة من المراجع نذكر أهمها:

- **"مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا"**، و**"التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء"** للهادي مبروك الدالي: أفادنا في الجوانب السياسية والحضارية والثقافية لمدينة تنكبت، وتكمن أهمية مؤلفاته في أنه اعتمد على مخطوطات ووثائق توصل إليها من خلال زيارته للمنطقة.

كما أفادنا كتابه **"التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء"** في تقديم معلومات هامة عن الحياة الفكرية في تنبكت ومساهمة علماء أقيت فيها.

- **"مملكة سنغاي في عهد الأسكيين 1493_1591م"** لعبد القادر زبايدية: مرجع مهم في تاريخ بلاد السودان الغربي في عهد دولة سنغاي، أورد معلومات عن الحركة الثقافية في مدينة تنكبت وتعرض لعلاقة الأسقيين بعائلة أقيت.

- **"فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628_1000هـ/1230_1591م)"** لسَحر عنتر محمد أحمد مرجان: يؤرخ هذا الكتاب للحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي حيث خصصه لدراسة المذهب المالكي الذي ساد المنطقة، وترجم لأهم الفقهاء المالكية وبيَّن دورهم في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية فترة دولتي مالي وصنغاي، منهم فقهاء أسرة أقيت التنبكتية، استفدنا منه في ترجمة علماء العائلة ورصد المكانة التي حظوا بها لدى السلاطين من خلال تزعمهم مناصب القضاء والإمامة، وأوردنا من خلاله الإنتاج الفكري لهؤلاء الفقهاء خاصة في علم الفقه، وهو مرجع أساسي لا غنى عنه في هذا المجال.

- **"بداية الحكم المغربي في السودان الغربي"** لمحمد الغربي: تطرق مؤلفه إلى جوانب سياسية وحضارية وثقافية لتاريخ بلاد السودان الغربي من إمبراطورية غانا إلى غاية الغزو السعدي للبلاد، أمدنا بمعلومات مهمة عن الحركة الفكرية في تنكبت خاصة في العهد السعدي، وذكر بعض علماء آل أقيت ومؤلفاتهم في علوم مختلفة، إضافة إلى علاقتهم بالحكام السعديين وتعرض للنكبة التي لحقتهم على أيديهم وأسبابها.

- **"حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية"** لمهدي رزق الله أحمد: أفادنا كثيرا من خلال الفصل الذي خصصه لمدينة تنكبت حيث ذكر فيه أهم المراكز العلمي بها، وأشهر العلماء الذين نشطوا فيها أهمهم أسرة آل أقيت.

الدوريات:

من الدراسات المتعلقة بالموضوع التي أفادتنا نذكر:

- **"عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت"** للباحث سوزي أباظة محمد حسن، وهي عبارة عن دراسة وردت في مجلة الدراسات الإفريقية، العدد 26، سنة 2004، وتعتبر الدراسة الوحيدة التي تحصلنا عليها تطرقت لموضوعنا بنفس إطاره التاريخي والجغرافي، سلّط الضوء على أسرة أقيت وذكر أصلهم وأهم أعلامهم ومؤلفاتهم ومكتباتهم وقضاتهم وآخر ظهور لهم، وبالتالي كان إضافة مهمة لنا في البحث حيث استفدنا منه في بناء خطة البحث، ووجّهنا إلى المصادر والمراجع التي قمنا بالبحث فيها، وأورد معلومات مهمة لم نستطع الوصول إلى مصدرها خاصة مخطوطات العائلة في بعض الخزانات المغربية والتنبكتية.

- **"أشهر علماء تنكبت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية"** للباحث أبو بكر إسماعيل محمد ميقا: وهو مقال منشور في مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 10، سنة 1415هـ/....، أورد تراجم مختصرة لأشهر علماء أسرة أقيت الذين قاموا بدور بارز في ازدهار الثقافة الإسلامية والحركة العلمية في تنكبت.

الرسائل الجامعية:

اعتمدنا على بعض الرسائل الجامعية سواءا رسائل دكتوراه أومذكرات ماجستير أو ماستر، نذكر منها:

- **"القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عسر هجري (15م_18م)"** للدكتور محمد مولاي: وهي أطروحة دكتوراه نوقشت سنة 2019 بجامعة وهران 1

أحمد بن بلة، وترتبط هذه الدراسة بموضوعنا كونه تطرق إلى القضاة في مدينة تنكبت وإنتاجهم العلمي، وسلّط الضوء على أسرة آل أقيت وتوليهم هذا المنصب.

- "**الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة 842_1000هـ/1464_1591م**" للباحث محمد الفاجالو: وهي مذكرة ماجستير نوقشت سنة 1993 بجامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية، استفدنا منها في عدة جوانب من البحث، كالتعريف بحاضرة تنكبت ومراكزها الثقافية، وتعرفنا من خلالها على حركة التأليف في عهد دولة صنغاي ومساهمة آل أقيت فيها، كما أنه تطرق إلى نكبة العلماء إثر الغزو السعدي.

إضافة إلى مجموعة من المصادر والمراجع والمقالات والمذكرات الأخرى التي لها صلة بالموضوع لم نذكرها وهذا لا يعني تجاهلها.

ولا يخلو أي بحث أكاديمي جاد من العقبات، فقد واجهتنا خلال فترة البحث مجموعة من الصعوبات التي زادت حِدتها في ظل ظهور وتفشي وباء أصاب العالم بأجمعه والجزائر بالخصوص، والذي تمثل في فيروس كوفيد كورونا 19، الذي أدي إلى غلق الجامعات والمعاهد والمكتبات وشل حركة النقل، ما صعّب علينا التنقل للحصول على الكتب التي تخدم الموضوع.

- إضافة إلى قلة المادة التاريخية المتعلقة بهذه العائلة، وما توفر لنا كان متناثرا في ثنايا المصادر والمراجع التي اطلعنا عليها.

- معاصَرة أسرة آل أقيت لفترتين تاريخيتين متتابعتين، حيث عاشت في أواخر العصر الوسيط وبداية العصر الحديث، صعّب علي مهمة البحث حيث قمت بمطالعة مواضيع تطرقت للعهد السعدي في المغرب الأقصى حتى أكون خلفية عن الموضوع، لأن هذا العهد له صلة بعائلة أقيت.

وبفضل الله سبحانه وتعالى أولا، وتوجيهات الأستاذ المشرف ودعمه لنا علميا ونفسيا، استطعنا تجاوز هذه الصعوبات، كما لا أنسى اهتمامه بنا وتحفيزه وإسدائه النصائح لنا منذ سنتنا الأولى في الجامعة، جعلها الله في ميزان حسناته.

الفصل التمهيدي:

لمحة تاريخية عن تنبكت من النشأة إلى الغزو السعدي

(ق 5ه-10ه/11م-16م)

المبحث الأول: أصل التسمية والنشأة والموقع الجغرافي

المبحث الثاني: التطورات السياسية للمدينة

المبحث الثالث: أهمية المدينة

يُعد تاريخ مدينة تنبكت حافلا بالأحداث السياسية والعسكرية والثقافية منذ نشأتها أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حيث تصارعت عليها قوات مختلفة للسيطرة عليها نظرا لموقعها الجغرافي الهام على منحنى نهر النيجر، فنالت مكانة خاصة وشهرة عظيمة خلال فترة حكم دولة مالي ودولة سنغاي، فبرزت كمدينة تجارية وأصبحت ملتقى القوافل والتجار، واشتهرت كحاضرة إسلامية ثقافية ومركز إشعاع ديني في بلاد السودان الغربي، حتى سقطت أثناء حملة المنصور السعدي على البلاد أواخر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

المبحث الأول: الأصل والتسمية والموقع الجغرافي

أصل التسمية:

وردت اختلافات بين المصادر والمراجع التي أرخت لمدينة تنكبت حول نطق اسم المدينة ورسمه، حيث نجد المصادر التاريخية التي مؤلفوها من السودان الغربي[1] كتبتها تُنْبُكْتُ مثل: تاريخ الفتاش، تاريخ السودان، كفاية المحتاج، فتح الشكور[2].

[1] السودان الغربي: العرب أول من أطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى، والمفروض أنها تعني جميع البلاد التي يقطنها السود، وينقسم السودان إلى ثلاثة أقسام: السودان الأوسط والسودان الشرقي والسودان الغربي وهذا الأخير يطلق عليه اسم غرب إفريقيا يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الشرق بحيرة تشاد ومن الجنوب خليج غينيا ومن الغرب المحيط الأطلسي، وبمفهومه الواسع حاليا يضم الدول التالية: موريتانيا والصحراء الغربية، مالي، غانا، السنغال، غامبيا، سيراليون، ليبيريا، ساحل العاج، داهومي، نيجيريا، غينيا بيساو، غينيا كوناكري، بوركينافاصو، الطوغو، البنين، النيجر، إفريقيا الوسطى. يُنظر: قحام عمار وبن شعبان سلمى، الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين 9هـ_13هـ/15م_19م)، مذكرة ماستر، جامعة قالمة، 2017/2016، ص ص 7_9 .

[2] محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تع: آدم بمبا، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ص 97. عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، 1981، ص 02. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ص 377. أبو عبد الله الطالب بن أبي بكر الصديق الولاتي البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد ابراهيم الكناني ومحمد حجي، ط1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 29 .

ويكتبها غير واحد من المؤرخين والعلماء "تنكبت" بلا واو في الأخير كأبي العباس المقّري (ت1040هـ) في "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"، ومحمد أمين المحبي (ت1111هـ) صاحب "خلاصة الأثر" ومرتضى الزبيدي (ت1205هـ) في "تاج العرس"، وعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (ت1382هـ) في فهرس الفهارس[1].

بينما ضبطها ابن بطوطة باسم "تُنبُكتُو" وضبط اسمها بضم التاء المعلُوة وسكون النون وضم الباء الموحدة وسكون الكاف وضم التاء المعلُوة الثانية وواو، وبنفس الطريقة ضبطها الحسن الوزان[2]، أما مارمول كارباخال أوردها بشكلين مختلفين، فتارة يكتبها تنبكتو[3]، وتارة أخرى تمبكتو[4]. أما المؤرخون المعاصرون هناك من كتبها "تمبكتو" أمثال: نقولا زيادة، والهادي مبروك الدالي[5]، وهناك من كتبها "تنكبت" أمثال: عبد الله سالم بازينة، ومهدي رزق الله أحمد[6].

---

[1] الحاج بنيرد، تاريخ تنبكتو منذ نشأتها إلى غاية القرن الحادي عشر الهجري دراسة ثقافية تاريخية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع3، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، 2014، ص 175.

[2] ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تح: محمد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء علوم الدين، بيروت، 1987، ص707. الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، ج1، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 29.

[3] مارمول كاربخال، افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج3، دار النشر المعرفة، الرباط، 1989، ص 201 .

[4] نفسه، ص 201.

[5] نقولا زيادة، إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991، ص30. الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن 13_15م، تق: محمد رزوق، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص 91.

[6] عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010، ص141. مهدي رزق الله أحمد، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار، ط1، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998، ص 301.

ونطقها بعض المستشرقين "تمبكتو" tomboctou مثل: أرنولد توماس وديبوا، في حين قلدت العديد من المراجع الأجنبية والعربية ما كتبته أقلام المستشرقين فكتبتها: تمبكتو tomboctou أو tombouctou [1].

ونطق الكلمة يختلف ويتغير بتغير اللغات، فبالغة الفرنسية تنطق تومبكتو tombouctou وباللغة الانجليزية تيمبوكتو timbouctou، أما في لغة السنغاي فنطقت "تومبوكتو" [2].

ويبدو أن كتابتها "تمبكتو" بالميم بدل النون يرجع نتيجة قلب النون الساكنة بالباء، ومنه أيضا أُخذ المقابل بالفرنسية "timbuctu" ، ولهذا ترجمها الدكتور زكي نجيب محمود "تمبكتو" بالميم عند ترجمته لكتاب قصة الحضارة لويليام جيمس (ت1981م) [3].

وبعد دراسة وتحليل ما أوردته المصادر السودانية حول نطق اسم المدينة ورسمه فقد خلصنا إلى أن اسم المدينة هو "تنكبت"، وهو ما اعتمدنا عليه في بحثنا باعتبار أن مؤلفي هذه المصادر هم من سكان المنطقة من أمثال عبد الرحمان السعدي الذي عقد بابا كاملا عن تنكبت (بضم التاء الأولى والثانية) ونشأتها، ويكاد يكون محور الكتاب كله هو هذه المدينة العظيمة التي لم يخل مؤلف أو مقالة عن غربي افريقية من الإشارة إليها [4]، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى اسم عجوز اسمها تنكبت كانت تسكن المكان قبل إنشاء المدينة وكان الرحالة ينزلون حول بيتها فتساعدهم ويساعدونها وتحرس لهم بعض متاعهم، فلما أنشئت المدينة سميت باسم المرأة [5].

---

[1] بسمة مزري، الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين (5هـ_10هـ/11م_16م)، مذكرة ماستر، جامعة قالمة، 2016_2017، ص 08.

[2] عبد الحميد جنيدي، مدينة تنبكت(تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، ع16، جوان 2012، ص 112.

[3] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص 175.

[4] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 301.

[5] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص 141.

أورد عدد من المؤرخين أن كلمة تينبوكتو مركبة من كلمتين هما: تين وتعني باللغة الطارقية "مكان"، و"بوكتو" هو اسم العجوز التي اشتهرت بالأمانة، وكانت تقيم في ذلك المكان، وكان الطوارق وأهل المنطقة القادمون من أماكن بعيدة يستأمنونها في تخزين مُؤنِهم، ومع مرور الزمن اندمجت الكلمتان معا فأصبحت "تين بوكتو" ثم "تمبكتو" و"تنكبت"، وبذلك سميت المدينة، ولا يزال مكان بوكتو العجوز التي يُنسب إليها اسم المدينة موجودا، وهو حاليا عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة[1].

وإذا عدنا إلى أصول تسميتها قبيل تخطيطها، رجّحت عدة روايات في مصادر مختلفة أن الفضل يعود للقبائل العربية المهاجرة خلف قطعان ماشيتها والتي كانت تجوب الصحراء طولا وعرضا إلى حفر أول بئر لتوفير المياه الصالحة للشرب للمترددين على تلك المنطقة[2]، إذ سمي هذا البئر "بئر بكتو"[3] ومن هذا الأخير سميت المدينة تمبكتو أو تنكبت حيث المقطع الأول "تن" تعني المكان أو المأوى أو المسكن في لغة الطوارق و"بكت" هو اسم المرأة العجوز التي كانت تقطن قرب ذلك البئر[4]، فجعلوها خزانة لمتاعهم وزُروعهم، إلى أن صار مسلكا للسالكين في ذهابهم ورجوعهم، وخازنتهم أَمتهم مدعوة بتنبكت ومعناه في لغاتهم العجزة وهي بها فسمي الموضع المبارك بها[5].

أما المؤرخ الهادي مبروك الدالي لا يقبل بهذه الرواية ويراها بعيدة لسببين:

السبب الأول هو أن ظروف الحياة لا تسمح لتلك المرأة بالبقاء وحدها في تلك الصحراء.

---

[1] عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 112.

[2] علي محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001، ص 85.

[3] عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيّين 1493-1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 100.

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، ط2، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، طرابلس، 2001، ص 101.

[5] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 21.

السبب الثاني هو أن جانب الأمن مطلوب للحياة، وهو غير متوافر في تلك المنطقة وفي تلك الفترة، ويرى أن سبب شهرة اسم هذه المرأة في المنطقة يعود إلى أنها كانت لها مكانة مرموقة بين جماعتها التي كانت تقطن معها، وبذلك أصبح اسمها علما من أعلام تلك المنطقة[1].

النشأة:

وردت اختلافات في المصادر المؤرخة لتنكبت حول تاريخ نشأة المدينة، فعبد الرحمان السعدي يذكر أنها نشأت على أيدي طوارق أمقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة[2]، أما الحسن الوزان أورد أنها تأسست على يد ملك يدعى منسا سليمان عام 610هـ[3]، ويوافقه في ذلك مارمول كارباخال[4].

هذان الرأيان مردودان على صاحبيهما لأن الملك منسا سليمان حكم مملكة مالي في عام 742هـ/1341م، واستمر حكمه إلى غاية 762هـ/1320م[5].

يُجمع المؤرخون على أن مدينة تنكبت تأسست في القرن الخامس الهجري أثناء قيام دعوة المرابطين[6]، فالبعض منهم يؤكد على تأسيسها أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي[7]، ومنهم من حدد

[1] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 92.

[2] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 20.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 165.

[4] مارمول كارباخال، المصدر السابق، ج2، ص 201.

[5] عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 112.

[6] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص 176.

[7] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 91.

تأسيسها في عهد يوسف بن تاشفين[1] وذلك سنة 490هـ/1096م[2].

كذلك أورد الباحث الإنجليزي سبنسرتر منجهام فيرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخر القرن الخامس الهجري سنة 490هـ/1097م في عهد يوسف بن تاشفين[3].

كذلك أورد ديبوا أنه في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ظهرت قبيلة من الطوارق تدعى ماكسارا Maksara ترعى قطعانها ما بين أروان في الصحراء وقرية أَمْتاه التي تقع على شواطئ النيجر[4].

نلاحظ اختلاف في تحديد تاريخ نشأتها، فالبعض يقول أنها نشأت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، أما البعض الآخر يقول في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، ونحن نميل إلى رأي عبد الرحمان السعدي لأنه ابن المدينة حيث قال أنها تأسست أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي.

ويبدو أن مؤسسيها من البربر الطوارق وخاصة طبقة النبلاء والأعيان والسادة من الطوارق، وكانوا

---

[1] هو يوسف بن تاشفين بن ابراهيم بن توفريت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتلمي بن تامليت الحميري من قبيلة لمتونة الصنهاجية، أسند له ابن عمه أبي بكر قيادة المرابطين بعد عودته من الصحراء وأصبح رسميا أميرا على دولة المرابطين (448_541هـ/1056_1147م)، اختط مدينة مراكش سنة 454هـ وأكمل تشييدها ابنه علي سنة 526هـ. يُنظر: حامد محمد خليفة، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، ط1، دار القلم، دمشق، 2003، ص71. عبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج 6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000، ص245.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ_515هـ/1038م_1121م، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988، ص163.

[3] عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 112.

[4] فليكس ديبوا، تنبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مر/تق: شوقي عطا الله الجمل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 184 .

ينزلون بها أشهر الصيف وفي الخريف يرتحلون[1]، ومع مرور الوقت استقروا فيها حيث تجمعت العديد من القبائل الطوارق فتحولت إلى سوق للتبادل التجاري بين تجار الشمال والجنوب، وظلت تتسع وتكبر حتى أصبحت بلدة كبيرة وباتت محطة لتجار القوافل والعلماء القادمين من الشمال الإفريقي إلى السودان الغربي[2]، وقُدر لها أن تكون من أهم المراكز الإسلامية في قلب القارة الإفريقية[3].

الموقع:

حدد الحسن الوزان موقعها بقوله:"...على بعد اثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر..."[4]، تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بالمنطقة المعروفة بمنحنى النيجر عند دوران قرصه الشمالي، وهي قريبة من نهر النيجر[5]، فهو يبعد عنها في فصل الصيف بستة عشر ميلا، أما في الخريف فإنه يقترب منها فيصل إلى قرية بكبر[6] التي تبعد عن تنكبت سبعة أميال[7].

وتحديدا تقع شمال العاصمة باماكو عاصمة دولة مالي حاليا تبعد عنها حوالي ألف وثلاثمائة كيلومتر[8]، في منطقة مترامية الأطراف وسط الصحراء الكبرى فيما يُعرف بالساحل الإفريقي الذي يضم دول موريتانيا

[1] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص141.

[2] نادية سالم شفشه، الحياة الثقافية في تنكبت (جامعة سنكري أنموذجا) من القرن 9_11هـ/13_15م، مقال بقسم التاريخ كلية التربية جامعة الزاوية، ليبيا، ص02.

[3] عبد الرحمان زكي، الإسلام والمسلمون في غرب افريقية، ج 2، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، مصر، ص145.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص165.

[5] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص141.

[6] بكبر: ميناء يقع إلى الجنوب من مدينة تنكبت على ضفاف نهر النيجر.يُنظر: أحمد بابير الأرواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنكبت البهية، تح: الهادي مبروك الدالي، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ص45.

[7] عبد السلام عمر عرقوب، النهضة الثقافية في مدينة تنكبت في عهد دولتي مالي وسنغي 1240م_1591م، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع8، يوليو2015، ص219.

[8] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص99.

وجنوب الجزائر وشمال مالي والنيجر وتشاد وليبيا الى غاية سواحل المحيط الأطلسي[1]، وكانت تُعرف هذه المنطقة قديما باسم التكرور[2]، تتواجد في شرقها قرية تاوديني التي تبعد عنها عشرة أيام[3]،ومدينة جاو[4] التي تبعد عنها بحوالي اثني عشر مرحلة[5]، وفي الغرب تتواجد ولاتة[6]، وأودغشت[7]، ومن الشمال تحدها أروان[8]

---

[1] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص175.

[2] أطلق بعض المؤرخين العرب مصطلح التكرور على جميع الزنوج في السودان الغربي، باعتبار أن كلمة تكروري مرادفة لكلمة السودان في نظرهم ولكن هذا التعميم لا يتفق مع الواقع كما أن أهل السودان لا يقبلون به، كما ذكر ابن فضل العمري في كتابه المسالك والممالك "صاحب مملكة مالي هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور، ولو سمع هذا أنف منه لأن التكرور إنما هو إقليم من مملكته والأحب أن يقال صاحب مالي". يُنظر: عبد الرحمان قدوري، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10هـ/15و16م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2011_2012، ص10.

[3] محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، ج1، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982، ص587.

[4] يسميها بعض المؤرخين كاغو أو كاغ وأطلق عليها المغاربة غاو وكاغو وغوا، حولها السنغاي إلى عاصمة لهم لقربها من منطقة كورما التي كانت قبائلها موالية للسنغاي ولاعتدال مناخها. يُنظر: محمد الغربي، المرجع السابق، ص583.

[5] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص99.

[6] ولاتة: هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية، لم يحدد تاريخ تأسيسها، وردت في المصادر بعدة أسماء: ايوالاتن، والاتا، ولاتن، احتلت مكانتها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط إمبراطورية غانة وقيام مملكة مالي التي ضمتها إلى حدودها، سكانها خليط من الزنوج والعرب وقد هاجر إليها عدد من علماء تنكبت زمن الملك سني علي، وقد ارتبطت بعلاقات تجارية مع تنكبت. يُنظر: الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص ص 306_305.

[7] أودغشت: مدينة كبيرة آهلة رملية هي الباب الجنوبي التي تقف عندها قوافل السودان الواردة من كل ناحية نحو المنحنى العلوي للنيجر الذي كان يعتبر الممر إلى بلاد السودان، تتحكم في مدخل السودان وتعتبر من المراكز الثقافية الهامة، كان لها دور كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية في منطقة السودان، كانت عاصمة لصنهاجة اللثام في القرن الرابع الهجري ومنها انطلقت موجات من دعاة المرابطين إلى بلاد السودان. يُنظر: عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 50، 157.

[8] أروان: تقع في واد كثير النخل، أخذت أهميتها بسبب وقوعها على طريق قوافل الملح والتجارة وزادت أهميتها في عهد المغاربة حيث تحولت إلى نقطة للعبور نحو المغرب، كانت تقطن بها أكثرية عربية. ينظر: محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 558_559.

والبير، ومن الجنوب قرية كابارا[1]، ومدينة جني[2].

أما فلكيا فهي تقع على خط العرض الشمالي 16°_43°، وخط الطول الشرقي 5°، وهناك من يقول أنها تقع على خط عرض 17°_40°، وخط طول 3°_50°[3].

فهي تقع على ملتقى طرق القوافل القادمة من الشمال الإفريقي، وهذا الموقع أعطاها مركزا حيويا واستراتيجيا ذا أهمية بالغة في المجالين الاقتصادي والحضاري[4].

وبعد دراستنا لإشكالية تسمية المدينة والكتابة الصحيحة له، اتبعنا في بحثنا كتابة "تنكبت" لأنه المتداول في كتابات مؤرخيها أبناء المدينة، الذين أكدوا على نشأتها أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي على الضفة اليسرى من نهر النيجر، وهذا الموقع الجغرافي جعلها تتبوأ مكانة مميزة في بلاد السودان الغربي.

---

[1] كابارا: مدينة كبيرة على شكل قرية مسورة بعيدة بنحو 12 ميل عن تنكبت على النيجر، أرسل إليها ملك تنكبت نائبا عنه ليسهل على السكان الاستقبالات الملكية. يُنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص168.

[2] جني: أسست هذه المدينة على نهر النيجر الأعلى في منتصف القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة، أسلم أهلها على يد المرابطين وتم إسلامهم في نهاية القرن السادس الهجري، امتازت بسمعتها وبأنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين، يلتقي فيها التجار من جميع البلاد. يُنظر: عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص162.

[3] عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص112.

[4] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص95.

المبحث الثاني: التطورات السياسية للمدينة

شهدت تنبكت عدة تطورات سياسية منذ تأسيسها أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، حيث تعاقب على سدة الحكم بها عدة قوى سياسية منذ تأسيسها، والتي يوردها المؤرخ عبد الرحمان السعدي في كتابه تاريخ السودان، ويعطي مدة حكم كل قوة على النحو التالي:

- الطوارق: نشأت المدينة عل يدهم وبقيت في حكمهم ثلاثمائة سنة.
- مملكة مالي[1]: حكمتها مئة سنة، من 737هـ/1337م إلى 837هـ/1437م.
- عودة الطوارق: أربعون سنة تقريبا، من 837هـ/1434م إلى 873هـ/1468م.
- السنغاي[2]: حكمها سني علي لمدة أربعة وعشرون سنة من 873هـ/1468م إلى 898هـ/1492م.
- حكم الأسقيين[3]: حكموا مئة وواحد سنة ابتدءا من 898هـ/1493م إلى غاية 999هـ/1591م.

---

[1] مملكة مالي الإسلامية(569_874هـ/1200_1496م): أسس هذه المملكة شعب زنجي أصيل هو شعب "الماندنجو" ومعناها المتكلمون بلغة الماندي، سماها بعض المؤرخين العرب "مليل" أو "ملل" بينما يسميها البعض الآخر ب "مالي"، وتقع بين بلاد برنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا وجبال البربر شمالا وفوتاجالون جنوبا، اشتهرت باسم بلاد تكرور، مؤسسها الملك "سندياتا" المشهور ب "ماري جاطة" (627_653هـ/1230_1255م). يُنظر: عبد الرحمان قدوري، المرجع السابق، ص ص 17_20.

[2] مملكة سنغاي (777_1000هـ/1375_1591م): إحدى أكبر الممالك في التاريخ الإفريقي، حكمها سلالتين هما: سلالة سني، وسلالة الأسكيا، حكمت سلالة سني في الفترة 1464_1493م بعد وفاة محمد دوغو عام 1464م خلفه ابنه سني علي الذي يعد مؤسس دولة سنغاي، فاستولى على تنبكت عام 1468م، بعد وفاته خلفه ابنه أبو بكر الذي لم يدم في الحكم طويلا بعد أن ثاروا عليه قواد أبيه فانتقل الحكم إلى سلالة الأسكيين. يُنظر: صاط أم كلثوم، مملكة صنغاي الإسلامية، مذكرة ليسانس، جامعة سعيدة، 2016_2017، ص 14.

[3] انتقل حكم مملكة سنغاي إلى القائد "أسقيا محمد الأول" بعد إعلانه الثورة على ابن سني علي، وأسقيا لقب يعني القاهر، قام بتنظيم شؤون البلاد، أجبره أبناؤه على التخلي عن الحكم، أخذت أركان الدولة تتصدع فدخلت سنغاي في عصر من الصراعات على الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة، لم تستطع صد هجمات الطامعين في الاستيلاء عليها حتى قضى عليهم جيش المنصور الذهبي وأصبحت عاصمة الحكم المغربي تنبكت من أول يوم. يُنظر: عبد الرحمان قدوري، المرجع السابق، ص ص 21_24.

- الدولة السعدية[1]: سيطر عليها السلطان أحمد منصور الذهبي سنة 999هـ/1591م[2].

تنكبت تحت حكم الطوارق touareg:

لقد استطاعت قبائل الطوارق أن تسيطر على المدينة كأول ملوك لها في آخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، وكان حاكمهم يدعى أمقشرن، هذا الملك أو بالأحرى الزعيم كان يعين من خارج قبيلتهم لقيادة البلدة، أما هم فلا يسكنون تلك الحاضرة بل كانوا ظواعن في البراري لأنهم من أهل البادية، وقد عمّروا في هذه المدينة وسيطروا عليها لمدة ثلاثمائة سنة وتمكنوا من بناء المسجد المعروف بمسجد سيدي يحي، والذي يعتبر أول مسجد بني في ذلك الموضع[3].

تنكبت في عهد مملكة مالي:

تُعد مملكة مالي الإسلامية من أقوى وأغنى الدول الإفريقية التي ظهرت في غربي افريقية[4]، ويميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي قامت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أو وحدات أو ممالك[5].

---

[1] الأشراف السعديين: يرجع نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان ظهورهم في زمن دب فيه الضعف في دولة المرينيين منذ أوائل القرن 9هـ/15م، وقد أخذ الوطاسيون محل بني مرين في جنوب المغرب الأقصى كما قامت دويلات فيما تبقى من البلاد، احتل البرتغاليون أصيلة، أغادير، آسفي، أزمور، طنجة، سبتة، واستولى الإسبان على طليطلة، ولم ينقذ المغرب الأقصى إلا قيام الدولة السعدية على يد محمد القائم (916_922هـ/1510_1541م)، ثم خلفه ابنه أحمد الأعرج (923_948هـ/1517_1541م)، ثم ابنه الثاني محمد الشيخ (948_965هـ/1541_1557م)، ثم أحمد المنصور المعروف بالذهبي والذي امتد حكمه ربع قرن من الزمان، وأرسل حملة إلى السودان الغربي قضت على مملكة سنغاي. يُنظر: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح وتع: جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص ص 3_16.

[2] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص22.

[3] بسمة مزري، المرجع السابق، ص ص 13_14.

[4] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب افريقية تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ص75.

[5] إبراهيم علي طرخان، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973، ص25.

ويُعد السلطان منسا موسى[1] هو أول الملوك الذين حكموا تنبكت وجعل فيها خليفة له وابتنى فيها دار السلطنة فسميت "مَعَ دُك" معناه في كلامهم دار السطان[2]، وكان رجلا صالحا وملكا عظيما له في العدل أخبار تُؤثَر عنه[3]، وتولى عرش مالي عام1307م واستولى جيشه على تنبكت[4] وأخضعها لحكمه سنة 730هـ/1327م تقريبا، ومنذ ذلك التاريخ ظلت تنبكت تحت سيادة دولة مالي الإسلامية[5]، ويعتبر عهد منسا موسى المرحلة التي بلغت فيها مملكة مالي قمة ازدهارها وأوج عظمتها[6]، وحظيت تنبكت بعنايته ومنها انطلق في رحلته إلى الحج الشهيرة وهذا كمبادرة على إشهارها وتكريما لها[7].

واشتهرت المدينة في زمن هذا السلطان حيث استقدم عددا كبيرا من العلماء ولاسيما من المغرب الإسلامي ومصر والأندلس فامتلأت هذه المدينة بالعلماء، وظهرت في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كأعظم مدينة حضارية وثقافية وعلمية بالسودان الغربي[8].

---

[1] اختلف عدد من المؤرخين في اسمه فمنهم من أطلق عليه اسم موسى ابن أبي بكر الأسود، ومنهم من أطلق عليه موسى بن أبي بكر، وهناك من سماه منسا موسى، اشتهر باسم منسا موسى أو كنكه موسى، ومنسا في لغة الونج تعني ملك، أما كنكه هو اسم أمه وهو ما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن لأمه. يُنظر: عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 119.

[2] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 07.

[3] عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 267.

[4] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص34.

[5] عبد العزيز بن راشد العبيدي، مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة دراسات افريقية، ع5، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1989، ص71.

[6] أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230_1430م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999، ص187.

[7] علي محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001، ص 88.

[8] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص116.

ومات المنسا موسى عام 734هـ/1333م[1] بعد خمسة وعشرون سنة من حكمه[2]، آل الحكم إلى ابنه مُغا 738_742هـ/1337_1341م اضطربت في عهده أحوال مالي وتفشت فيها الفوضى وتقلصت مملكته[3]، تعرضت تنكبت للنهب والتخريب تماما، إذ أحرقت المساجد والقصور وتحولت البيوت إلى أنقاض[4].

ولما هلك خلفه منسا سليمان ابن أبي بكر وهو أخو منسا موسى وحكم أربعة وعشرون سنة[5]، وقد اجتمع له ما فتحه أخوه من بلاد السودان وأضافه إلى سلطان الإسلام، وشيد المساجد والمدارس وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك[6].

وبعد وفاة منسا سليمان بدأت المملكة في الضعف وأصبحت تعاني من الاضطرابات التي ما فتئ المتنافسون على العرش من بين أفراد الأسرة الحاكمة يثيرونها، وتعرضت أراضيها لغزو شامل من جميع الجهات فقد هاجمتها قبائل الصنغاي من الشرق، وبدو الصحراء من الشمال[7]، وسقطت تنبكت في قبضة الطوارق فقد ظلت تحت حكم مالي المباشر إلى عام 837هـ/1433م[8].

---

1 عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 37.

2 عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 116.

3 الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 38.

4 جوان جوزيف، الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء، تر: مختار السويفي، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984، ص 75.

5 عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 116.

6 عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 38.

7 جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 77.

8 عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 45.

تنكبت تحت حكم الطوارق

في عام 837هـ/1433م هاجمت قبائل الطوارق تنكبت واستطاعت الاستيلاء عليها، وعجز الملوك المتعاقبون على دولة مالي من استعادتها مرة أخرى[1]، وأعاد الطوارق احتلالها بحجة أنهم أول من أسسها[2] بزعامة عقيل أجموال، فعينوا عليها حاكمها الصنهاجي "محمد نض" الذي كان يشرف على إدارتها منذ أيام مالي، وكان هذا الحاكم يجمع الضرائب ويحتفظ بثلثها، أما ثلثاها فكان يبعثه إلى عقيل أجموال[3]، قام ببناء مسجد للولي الفاضل القطب سيدي يحي التادلسي وجعله إماما فيه[4].

ومات "محمد نض" وخلفه ابنه "عمر"، فاستمر عادة أبيه في علاقته بالطوارق، حتى فاجأه عقيل الذي صمم على جمع الضرائب بنفسه، فبدأ رجاله يعبثون في دور الأهالي ويعتدون على النساء، فقام عمر بمراسلة "سني علي" ملك سنغاي لينقذهم من عقيل وجيشه[5]، فقبل هذه الدعوة وهو الذي كان يضع أسس مملكة سنغاي في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي[6]، ويذكر صاحب تاريخ الفتاش أن سني علي أرسل رسولا إلى تنكبت يأمر أهلها بالخروج عنها ومن بقي فيها فسيعرض نفسه للقتل، ونتيجة لذلك فر السكان مسرعين مخلفين دورهم وأموالهم لما كانوا يعرفونه عن سني علي من القسوة والبطش وعدم الرحمة، ولم يبق في هذه المدينة إلا المرضى والعميان الذين لم يجدوا من يساعدهم على الهرب، وكان ممن هرب زعيم الطوارق عقيل وكذلك والي المدينة عمر، وقد أخذ زعيم الطوارق معه علماء المدينة وحملهم على ألف جمل واتجه إلى

---

[1] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 71.

[2] عبد الحميد جنيدي، المرجع السابق، ص 116.

[3] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 45.

[4] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 23.

[5] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 45.

[6] فليكس ديبوا، المرجع السابق، ص 188.

ولاتة في الشمال[1]، ومشى فيهم الفقيه عمر ابن محمد أقيت وأولاده الثلاثة المباركون الفقيه عبد الله والفقيه أحمد وهو أكبرهم، والفقيه محمود وهو أصغرهم سنا[2].

تنكبت في عهد مملكة صنغاي

بوصول سني علي إلى الحكم، تأسست أسرة جديدة هي أسرة سني، والفترة المهمة لهذه الأسرة الفترة الأولى 1464م_1492م حكم خلالها سني علي بيد من حديد، إذ عُرف بقسوته وبطشه وكراهيته للطوارق الذين حاول إفناءهم[3]، إذ يصفه السعدي:" الظالم الأكبر والفاجر الأشهر، كان ذا قوة عظيمة ومِتنة جسيمة ظالما فاسقا متعديا متسلطا سفاكا للدماء، قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين..."[4].

ويُعتبر المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي، وكان أول هدف له مدينة تنكبت العظيمة، إذ الاستيلاء عليها يعني ضم أكبر عنصر حضاري إلى دولة سنغاي[5]، وكان أول ما أقدم عليه أن استولى على تنكبت وطرد الطوارق منها، وفي سبيل ذلك أحرق معظمها وقتل الآلاف من سكانها[6]، وغرّب علماءها ولاحقهم بالقتل واتخذ من بناتهم جواري له[7]، وفي هذا يقول السعدي:" وفي سنة 873هـ، دخل في تنكبت وهي رابع أو خامس سنة من دخوله السلطنة، عمل فيها فسادا عظيما جسيما كبيرا فحرقها وكسرها وقتل فيها خلقا

[1] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 72.

[2] عبد الرحمان السعدي، المرجع السابق، ص 65.

[3] مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2005_2006، ص 48.

[4] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 64.

[5] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 228.

[6] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 50.

[7] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 54.

كثيرا..."[1]، كما قام بسجن والدة الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت وأمر بإتيان ثلاثين من بناتهم الأبكار ليتخذهن جاريات وهو في مرسى كبرة وأمر بأن يأتين على أرجلهن حتى وصلن موضعا عجزن فيه عن المشي وأمر بقتلهن جميعا وسمي ذلك الموضع ب: فناء قدر الأبكار[2].

واستمر حكم سني علي حوالي سبعة وعشرون سنة، حول فيها دولته الصغيرة إلى إمبراطورية قوية، وفي 898هـ/1492م توفي وخلفه ابنه أبو بكر داعو[3] الذي لم يحكم سوى سنة واحدة فسرعان ما قام عليه أحد قواده العسكريين الكبار وأزاحه عن الملك وعرف هذا القائد ب"أسقيا" ومعناه "المغتصب" أي أنه اغتصب العرش من أسرة سني علي[4]، وبهذا دخلت تنكبت طورا جديدا من الحكم هو حكم أسرة أسقيا[5].

وبذلك بدأ عهد جديد لأسرة جديدة قُدر لها أن تقود هذه الدولة وأن تعيد للبلاد وجهها الإسلامي[6]، أسسها أحد قواد السوننكي[7] وهو "أسقيا محمد الأول"[8] بعد إعلانه الثورة على ابن سني علي واستيلائه

---

[1] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 65.

[2] نفسه، ص 66.

[3] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 51.

[4] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 48.

[5] تدعى هذه العائلة بلسان سنغاي "أيون". يُنظر: عبد القادر زبايدية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 21.

[6] عبد الحميد مقاديم، المدارس العلمية ودورها السياسي في السودان الغربي (مالي _ صنغاي) ق 7_10هـ/13_16م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2017_2018، ص 100.

[7] قبائل السوننك أو الساراكول كانت تعيش في الصحراء ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية فيما عرف باسم الساحل واليوم يعيشون بالغرب من ساحل المحيط. يُنظر: عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 46.
وهي فرع من فروع الماندي أي مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة الماند وتنفرد قبائل السوننك بصفات جسمانية خاصة ويقيمون في الصحراء. يُنظر: إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970، ص 18.

[8] بعد سماع شقيقات أبو بكر داعو بهزيمة أخيهم قلن "أسقيا" التي تعني في لغة سنغي لا تكون إياه أي لا يكون ملك، وسماع محمد بمقولتهن وإصراره على أن تكون هذه الكلمة لقبا له ولملوك سنغاي من بعده تحديا لهن. يُنظر: الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص 112. عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 72.

على السلطة[1] سنة 898هـ/1492م، وبعد أدائه فريضة الحج أصبح يسمى الأسقيا الحاج محمد[2]، ففرج الله تعالى به عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب واجتهد بإقامة ملة الإسلام وإصلاح أمور الأنام وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد[3] ومنهم الشيخ عبد الكريم المغيلي التلمساني[4].

وتعد الفترة التي حكم فيها الأسقيا محمد فترة الازدهار لمدينة تنكبت[5]، وبلغت الغاية في العلم والحضارة[6]، واستردت مكانتها كمركز للثقافة الإسلامية في غربي إفريقية وبلغ من شهرتها أن ملك صنغاي كان يُنسب إليها[7]، وقد زارها الرحالة الحسن الوزان في حدود 917هـ وقدم وصفا دقيقا لها يبرز ما وصلت إليه من تقدم وازدهار شمل جميع نواحي الحياة العلمية والاقتصادية والعمرانية، فقد تحولت إلى مركز علمي حيث يذكر أنه رأى بها عددا كبيرا من العلماء والقضاة والأئمة وأنهم يلقون التشجيع من الحاكم الذي يقدم

---

[1] عبد الرحمان قدوري، المرجع السابق، ص 36.

[2] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 59.

[3] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 72.

[4] ولد سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في مدينة مغيلة التابعة لبلدية ودائرة مغيلة ولاية تيارت حاليا وذلك سنة 831هـ/1427م، وتلقى دراسته الأولى بتلمسان حيث حفظ القرآن على السيد أحمد بن عيسى المغيلي التلمساني المعروف بالجلاب، كما أخذ عنه أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وابن الحاجب، ومن شيوخه أيضا سيدي عبد الرحمان الثعالبي، بعد وفاة سني علي سنة 1492م توجه الإمام المغيلي إلى صنغاي لإعانة الأسقيا الحاج محمد على الحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية. يُنظر: مبروك مقدم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006، ص ص 27_33.

[5] عبد العزيز راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 72.

[6] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص 182.

[7] رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين في إفريقيا (جنوبي الصحراء)، شركة سفير، القاهرة، 1996، 38.

لهم مرتبات مجزية[1]، وقد أشار كثير من المؤرخين إلى أن علماء تنكبت رحلوا إلى جهات خاضعة لنفوذ صنغاي وأقاموا هناك يفقهون الناس في الدين وينشرون الثقافة الإسلامية[2].

لكن الفترة الأخيرة من حكم الأسقيا محمد الكبير قد شهدت مظاهر زعزعة أركان المملكة، وبرز الصراع على السلطة[3] حيث ثار عليه ثلاثة من أبنائه وأجبروا والدهم على التخلي عن العرش لابنه موسى ثم نفوه إلى جزيرة على نهر النيجر، وبعد مرور أعوام أعاده ابنه إسماعيل حيث عاش بقية حياته بعد أن كف بصره وقاسى خلالها الألم واليأس، ثم مات عام 1542م تاركا دولة فسيحة[4]، أما في كتاب تاريخ الفتاش فوفاته كانت عام 944هـ/1537م[5].

وبعد أسقيا محمد جاء ملوك تنافسوا على حكم الدولة وسادت الفوضى في أرجائها مما عرّضها للأطماع الخارجية منها حملة سلطان المغرب الأقصى المنصور السعدي[6].

---

[1] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 72.

[2] رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 39.

[3] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 107.

[4] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 52.

[5] محمود كعت، المرجع السابق، ص 309.

[6] محمد مولاي، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري (15م_18م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2018_2019، ص 27.

تنكبت في عهد الدولة السعدية:

بعد نهاية حكم الأسقيا الحاج محمد خلفه على العرش تسعة ملوك[1]، تميزت فتراتهم بتقلب في الحياة السياسية وأزمات وصراعات على الحكم، خاصة في عهد آخر أمير الأسقيا إسحاق الثاني (997_1000هـ/1588_1591م)، وفي هذه الظروف التي تمر بها المملكة ظهرت مطامع سلاطين المغرب الأقصى فوجد أحمد المنصور[2] من هذه الأوضاع فرصة ثمينة لتحقيق مشروعه بغزو بلاد السودان الغربي فبدأ بالتحضير للحملة[3]، وفي يوم 16 أكتوبر 1590 سارت الحملة المغربية بقيادة جودر[4] وكانت تضم خيرة المقاتلين في المغرب من حملة الأسلحة النارية والفرسان وبعض القطع المدفعية[5]، فاستولى على العاصمة "جاو" بعد أن هزم قوات "الأسقيا إسحاق الثاني" في موقعة "تونديبي"، وبذلك دخلت البلاد في

---

[1] هم: الأسقيا موسى (935_937هـ/1528_1531م)، الأسقيا محمد الثاني (937_943هـ/1531_1537م)، الأسقيا إسماعيل (943_946هـ/1537_1539م)، الأسقيا إسحاق الأول (946_956هـ/1539_1549م)، الأسقيا داوود (965_990هـ/1539_1582م)، الأسقيا محمد الثالث (990_995هـ/1582_1586م)، الأسقيا محمد بان (995-997هـ/1586_1588م)، الأسقيا إسحاق الثاني (997_1000هـ/1588_1591م). يُنظر: سيد علي قنفود وأمين بشير باي، الأسقيا محمد التوري (897_935هـ/1493_1530م) من خلال كتابي تاريخ الفتاش وتاريخ السودان، مذكرة ماستر، جامعة خميس مليانة، 2018_2019، ص ص 70_74.

[2] أحمد المنصور: أبو العباس أحمد ابن أبي عبد الله محمد الشيخ المهدي ابن أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدي، ولد بفاس سنة 956هـ/1549م، نشأ في بيت الملك، عُين أميرا على فاس انتصر في معركة وادي المخازن عام 986هـ، تولى حكم الدولة السعدية إلى أن وافته المنية بعدما مرض عام 1012هـ/1603م. يُنظر: أحمد بن محمد المقّري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص ص ل_لا.

[3] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 29.

[4] هو شاب من أصول إسبانية أو برتغالية، نشأ بغرناطة، وقع في أسر المغاربة وهو صغير، كبر في القصر السلطاني في مراكش بقصر المنصور، كان قصير القامة أزرق العينين، عُرف عنه الحزم والقوة امتاز بجباية الخراج وحسن الإدارة والتنظيم. يُنظر: ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ص 235. مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشره هوداس، مكتبة أمريكا والشرق باريس، 1996، ص 02.

[5] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 54.

طور جديد من أطوار تاريخها وهو طور التبعية والفناء[1]، ثم استولوا على تنبكت حيث اتخذها جودر باشا قائد الحملة مركزا له وبنا فيها دار للحكم وألزم أهلها بدفع الضرائب، وحل بها الدمار والفساد من جراء تعسف قادة الحملة وسوء معاملتهم للعلماء والتجار[2]، فبدأ انهيار تنبكت مع هذا الغزو حيث انهارت الصِّلات القوية التي أقامها الأساكي[3].

ولم يكن سلوك القائد الجديد محمد ابن زرقون[4] الذي خلف جودر باشا في قيادة الحملة المغربية بأحسن من سلوك سلفه، بل إنه بالغ في الإساءة لأهالي تنبكت وقتل عددا من العلماء ونهب أموال الناس، ثم قبض على أعيان وعلماء المدينة وساقهم مع أهلهم عبر الصحراء إلى المغرب حتى وصلوا مراكش عام 1002م في أسوء حال وقد فتكت بهم الأمراض، وكان من جملتهم الفقيه المؤرخ أحمد بابا التنبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج[5].

بعدها نشأت أسرة محلية من باشاوات تنبكت تدين بالتبعية الاسمية لسلطان مراكش وتعتمد على عنصر خليط من البربر وأهل البلاد أو المولدون الذين سموا باسم "أرما"[6]، وقد تغلب منهم على حكم تنبكت في المدة من سنة 1071هـ/1660م إلى سنة 1164هـ/1750م مائة وثمانية وعشرون باشا، أما الباشاوات المراكشيون فقد ظل اعترافهم بالتبعية للسلطان المراكشي حتى سنة 1071هـ/1660م، ثم قطعت السلالات الجديدة هذه الصلة وأخذوا ينحدرون نحو الضعف حتى استقلت عن تنبكت المناطق التي

---

[1] رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 39.

[2] عبد العزيز راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 72.

[3] فليكس ديبوا، المرجع السابق، ص 190.

[4] من أصل اسباني أو برتغالي، نشأ في البلاط السعدي أسند إليه المنصور قيادة الجيش المراكشي في السودان الغربي بعد عزل الباشا جودر، تمكن من هزيمة آخر حكام صنغاي الأسقيا إسحاق الثاني، تم عزله فيما بعد وتوفي سنة 1003هـ/1593م. يُنظر: مجهول، تذكرة النسيان، المصدر السابق، ص 08.

[5] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 72.

[6] رجب محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 40.

كانت تابعة لها وقطعت عنها الجزية، وعاشت هذه المناطق في تمزق حتى استغله الاستعمار الأوربي ليمد نفوذه إلى هذه الأرجاء[1].

تعاقب على حكم مدينة تنكبت سلالات عديدة وكلهم كان هدفهم السيطرة عليها وبالتالي السيطرة على بلاد السودان الغربي، وبلغت المدينة شهرتها أيام السلطان منسا موسى حاكم دولة مالي وأثناء حكم الأسقيا الحاج محمد سلطان مملكة صنغاي، وتلاشت أهمية وشهرة المدينة بعد الغزو السعدي للمدينة وانحدرت نحو الضعف.

---

[1] مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص 237.

المبحث الثالث: أهمية المدينة

تنكبت "المدينة الخالدة"[1]، "المدينة العجيبة"، مدينة الخيال، تنكبت العظيمة حاضرة السودان والصحراء، تنكبت المقدسة ومهد العلماء[2]، كان أهلها يُدينون بالإسلام ويحبون السُنة ويحاربون البدع[3]، قال عنها السعدي:" هذه البلدة الطيبة الطاهرة الزكية الفاخرة ذات بركة ونجعة وحركة، ما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء والعابدين، ومألف الأولياء والزاهدين، وملتقى الفلك والسيار ..."[4]، إضافة إلى صاحب السعادة الأبدية الذي قال عنها أنها "قاعدة السودان"[5].

وذكرها الناصري في كتابه الاستقصا:" أهل مدينة تنكبت ممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة والسيطرة ببلاد السودان دينا ودنيا، بحيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي عام..."[6].

قدر لها أن تكون من أهم المراكز الإسلامية في قلب القارة الإفريقية[7] ومركز لانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في السودان الغربي[8]، وتُعتبر حلقة وصل بينه وبين الصحراء الكبرى[9]، وأدّى توافد التجار والعلماء إلى بروز المدينة كأهم وأشهر حواضر السودان[10].

---

[1] علي محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001، ص 06.

[2] فليكس ديبوا، المرجع السابق، ص 169، 174.

[3] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 94.

[4] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 21.

[5] أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 46.

[6] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 129.

[7] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 145.

[8] عبد العزيز راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 71.

[9] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص 141.

[10] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 574.

مثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها فقد اهتموا بها اهتماما كبيرا، وتوافد عليها التجار من داخل السودان الغربي ومن خارجه وخاصة من الشمال الإفريقي يحملون معهم بضائعهم ويعودون محملين بالذهب والرقيق وناب الفيل وريش النعام وغيره، وقد بلغت ذروة الازدهار الاقتصادي في القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي والذي عرف بالعصر الذهبي للمدينة[1].

وقد بدأت أهمية المدينة عندما أصبحت محطة نهائية للقوافل القادمة من الجنوب عن طريق نهر النيجر، وبفضل موقعها الاستراتيجي وكثرة الآبار فيها إلى مكان لتلاقي التجار والإقامة من حوله للراحة أحيانا وعند كثرة لقاءاتهم أصبح المكان سوقا للتبادل التجاري بين الشمال والجنوب[2]، ويذكر الحسن الوزان بأن بها دكاكين كثيرة للصناع والتجار، لاسيما دكاكين نساجي أقمشة القطن وتصلها أيضا أقمشة أوربا يحملها تجار البربر[3].

إن مركز تنكبت التجاري كان واضحا منذ نشأتها، إذ أنها تقع على ملتقى طرق القوافل البرية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر وأهم الطرق البرية التي كانت تتصل بتنبكت خمسة هي:

1. الطريق من مصر مارا بكانم[4] إلى تنكبت.
2. الطريق من تونس مارا بهُجار إلى تنبكت.

---

[1] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص ص 306_307.

[2] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 55.

[3] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 165.

[4] تأسست في القرن الثاني للهجرة على أيدي جماعة قادمين من الشمال ويقع هذا الإقليم في الشمال الشرقي لبحيرة التشاد. يُنظر: فرغلي علي تسن هريدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف – الاستعمار – الاستقلال، ط1، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2008، ص 27.

3. الطريق من المغرب الأقصى مارا بسجلماسة[1] وتوات[2] إلى تنكبت.

4. الطريق من تغازة[3] مارا بولاتة إلى تنكبت[4].

5. طريق من طرابلس[5] ومنها إلى غدامس[6] ومن ثم إلى تنكبت.

وتُعتبر تلك الطرق شرايين حيوية أسهمت في تدفق التجارة وازدهارها بين شمال الصحراء وجنوبها[7].

وبذلك تكون المدينة الوحيدة التي تتحكم في الطرق البرية والنهرية التي تفد إلى بلاد السودان من بلاد المغرب ومصر عبر الطريق الصحراوي، ومن أوربا عن طريق المحيط ثم النهر، وكان لموقعها الاستراتيجي أهمية

---

[1] سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درن. يُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجم 3، دار صادر، بيروت، ص 192.

[2] توات: تقع إلى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الأفريقية وتبعد عن عاصمة الجزائر بحوالي 1500 كم، وتعتبر مركزا من المراكز التجارية الهامة فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي. يُنظر: فرج محمد فرج، إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص ص 1، 66.

[3] تغازة: تقع جنوب المغرب الأقصى من البحر المحيط شرق الأقاليم الصحراوية الصنهاجية، تتوسط الطريق الرئيس بين تنكبت ودرعة بالمغرب كلاهما على بعد عشرون يوما من تغازة، وتعتبر المصدر الرئيس لمعدن الملح، وأغلب سكانها من مسوفة وليسوا من سكان البلدة ليس بها عمران وكل ما تحتويه هو الملح الذي يباع ويشترى بالذهب. يُنظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 687. الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 108.

[4] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص 142.

[5] طرابلس: من مدن افريقية، مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب في سورها، منها إلى جبل نفوسة ثلاث أيام، بينها وبين سرت عشرة مراحل فيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، وأهلها تجار يسافرون برا وبحرا. يُنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984، ص 389.

[6] غدامس: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة طرابلس، تبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلو متر، ارتبطت تجاريا بتنبكت ومدن سودانية أخرى فصارت محطة مهمة في بداية الطريق عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى السودان. يُنظر: الهدي مبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، المرجع السابق، ص ص 296_297.

[7] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 98.

في نموها وازدهارها تجاري[1]، فقد ذكر هذا السعدي في قوله:"...ويأتيها الناس من كل جهة ومكان حتى صار سوقا للتجارة..."[2]، وأصبحت ذات مكانة مميزة بفصل موقعها الجغرافي الفريد لوقوعها بين الصحراء الكبرى والساحل السوداني الغربي الشمالي فهي بذلك نقطة التقاء وتقارب بين الشمال والجنوب[3].

وما إن جاء القرن الثامن الهجري الرابع عشر ميلادي حتى تحولت تجارة المنطقة كلها إليها، وقصدها العلماء والتجار لتشهد ازدهارا كبيرا في ظل مملكة مالي خاصة في عهد سلطانها منسا موسى[4]، وكانت من أهم المدن التجارية بالغرب الإسلامي في منطقة الصحراء رفقة مدينة ولاتة، وهذا في القرن الرابع عشر الميلادي مما أدى بها إلى الاستقرار والثراء ونشوء مناخ ثقافي وعلمي هام فهاجر إليها الكثير من العلماء[5].

هذا وقد شهدت تنكبت في هذه الفترة حركة علمية نشطة ضاهت بها كبرى الحواضر العلمية آنذاك كمصر والقيروان[6] وفاس والأندلس[7]، وسرعان ما اقتفى العلماء أثر التجار، فكانت مركزا للحياة الفكرية والثقافية اجتمع فيها العلماء من جميع الأجناس والألوان، ووفد إليها علماء وفقهاء من بلاد المغرب والأندلس ومصر والحجاز وكافة بلاد السودان، حيث يجد بها العلماء والطلاب التشجيع والرعاية وليأخذوا العلم من علمائها[8]، حيث يذكر الوزان أن بها عدد كبير من القضاة والفقهاء والأئمة يدفع إليهم الملك

[1] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 69.

[2] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 21.

[3] Barth ch, Travels and discoveries in north and central Africa, vol 3, london, 1859, p 321_322.

[4] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 46.

[5] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص 179.

[6] القيروان: مدينة أصيلة أسسها عقبة بن نافع بناها على بعد ستة وثلاثون ميلا من البحر المتوسط ونحو مئة ميل من تونس. يُنظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 90.

[7] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 46.

[8] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 163.

جميعا مرتبا حسنا ويعظم الأدباء كثيرا[1]، وقد اشتهرت تنكبت بكثرة المدارس التي تدرس القرآن والعلوم الشرعية والتي بلغ عددها في زمن محمود كعت ما بين 150 و 180 كُتّابا أو مدرسة[2].

كذلك كثرت المكتبات في تنكبت وكانت مفتوحة لاطلاع الطلاب والراغبين في العلم واشتهرت عدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها، ولكن عُرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة[3]، وإلى جانب ذلك شغف أهل تنكبت بالكتب وأكثروا من اقتنائها حيث كانت تجارة الكتب تدر أرباحا تفوق أرباح السلع الأخرى كما يذكر الوزان[4].

كما نشطت حركة التأليف ونسخ الكتب والمخطوطات وتكوّن بها حي يدعى حي الوراقين على غرار أحياء مدن الشمال الإفريقي[5]، كما اتخذت خزائن لهذه الكتب رُفَّت في مكتبات انتشرت في تنكبت بكثرة، سواءا تلك المكتبات الخاصة التي تملكها الأسر مثل أسرة آل أقيت أو مكتبات عامة كتلك التي أنشأها السلطان أسقيا داوود بعدما أمر النساخ بنسخ كتب ومخطوطات[6] .

[1] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

[2] عبد العزيز بن راشد العبيدي، المرجع السابق، ص 74.

[3] عبد الله سالم بازينة، المرجع السابق، ص 144.

[4] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

[5] يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 158.

[6] أبو بكر إسماعيل ميقا، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400 إلى 1100هـ، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص ص 57_58.

ويلاحظ أن الكتب التي وجدت رواجا في غرب إفريقيا هي الكتب نفسها المتداولة في بلاد المغرب الإسلامي، وعلى سبيل المثال لا الحصر: كتب عياض[1] وسحنون[2] ومختصر خليل[3] وموطأ الإمام مالك[4] والمعيار للونشريسي ورجز المغيلي في المنطق وغيرها[5].

ولم تكن الصحراء الكبرى حاجزا لتدفق مظاهر الحضارة من شمال القارة الإفريقية وجنوبها وغربها في يوم من الأيام، بل كانت المؤثرات الثقافية والفكرية تتسرب من الشمال الإفريقي إلى السودان الغربي والأوسط، وكانت الحضارة التي شهدتها تنكبت أصدق مثال لذلك فقد ازدهرت ثقافيا متأثرة بالتيارات الفكرية والحضارية الوافدة إليها من الشمال الإفريقي لاسيما ما بين القرنين السادس والتاسع الهجريين الثاني

[1] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي المتوفى سنة 544هـ/1149م، وكتابه الذي اشتهر أمره في غربي إفريقية هو كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى وهو في الحديث النبوي الشريف فكانوا يتدارسونه لاسيما في رمضان، وممن اشتهر بسرده الفقيه أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن الحاج بن عمر أقيت. يُنظر: مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص ص 668_669.

[2] هو أبو سعيد بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، اسمه عبد السلام وغلب عليه اسم سحنون، أصله من حمص ولد سنة 160هـ وتوفي بالقيروان سنة 240هـ/854م، وكتابه المشهور هو المدونة التي خلدت الفقه المالكي بجانب الموطأ، وهي عبارة عن آراء فقهية التي كان يدرسها ويفتي بها وهي تقرير عن فقه المالكية، واشتهرت المدونة في غربي افريقية بكونها مرجعا أساسيا في الفقه المالكي فتداولها العلماء والطلاب بالدراسة. يُنظر: أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، مر: محمد العروسي المطوي، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص ص 345_347. مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 671، 673.

[3] هو خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المعروف بالجندي ضياء الدين أبو المودة حامل لواء المذهب المالكي بزمانه في مصر، كان مدرس المالكية في المدرسة الشيخونية وهي أكبر مدرسة في مصر، ألف مختصرا في المذهب المالكي بين فيه المشهور وأقبل عليه الطلبة ودرسوه، وكان من الكتب الفقهية المهمة في غربي افريقية. يُنظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000، ، ص ص 168_169.

[4] أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن الأصبحي، إمام أهل المدينة وأهل الحديث، توفي بالمدينة المنورة سنة 179هـ، كان لكتابه الموطأ أثر كبير في الحركة العلمية والدينية وحفظ لنا جزءا هاما من السنة النبوية، اهتم به المغاربة والأندلسيون ومسلموا غربي افريقية لسيادة مذهب مالك في هذه البلاد. يُنظر: محمد بن محمد بن قاسم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تع: عبد المجيد خيالي، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص ص 80_83. مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 681.

[5] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 150.

عشر والخامس عشر الميلاديين[1]، حيث تكونت طبقة مثقفة من السودان تولت مهمة التعليم، وكانت غالبيتهم من الفقهاء الذين أتقنوا اللغة العربية لغة الدين والثقافة والتجارة[2].

فكانت تنكبت منارة العلم في السودان سكنها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلاد.

[1] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق ، ص 102.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 168.

الفصل الأول:

مـظاهر الحـركـة الـعلميـة بـتـنـبـكـت

المبحث الأول: المراكز العلمية والثقافية

المبحث الثاني: العلوم والكتب المتداولة في تنكبت

المبحث الثالث: أهم أعلام مدينـة تنكبت

شهدت تنكبت حركة فكرية نشطة جعلها تتوبأ مركز الصدارة بين حواضر بلاد السودان الغربي، حيث احتوت على مؤسسات علمية مختلفة تمثلت في المساجد والكتاتيب والمدارس ساهمت في إثراء هذه الحركة، وعرفت تداول مجموعة من العلوم المختلفة التي تخصّص فيها علماؤها تدريسا وتأليفا، كما اعتنوا بدراسة أمهات الكتب خاصة التي انتشرت في المغرب الإسلامي وألفوا عليها الحواشي والتعاليق والمختصرات، وعرفت تنكبت بروز ثلة من العلماء من أبناء المدينة ومن المقيمين بها ساهموا في إثراء الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي.

المبحث الأول: المراكز العلمية والثقافية

1–المساجد:

أصبحت مساجد تنكبت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية، وقد حققت هذه المساجد أهدافها التعليمية والثقافية والتربية وتخرّج منها القضاة والعلماء والأدباء والمؤرخون أمثال علماء وفقهاء أسرة آل أقيت والمؤرخ السعدي صاحب مؤلَّف تاريخ السودان، وأحمد بابا صاحب نيل الابتهاج والقاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش وغيرهم كثيرون[1].

– الجامع الكبير:

يعرف أيضا ب"جنكري بير"[2] ومعناه عندهم المسجد الكبير[3]، يقع في غرب تنبكت[4]، يجهل المؤرخون تاريخ إنشائه إلا أن المعروف أنه بُني في مكان مسجد آخر في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، والمرجح أن بناءه تم في أوائل القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي ثم تم تجديد بنائه في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي (704_733هـ/1312_1337م) بأمر من حاكم مالي منسا موسى بعد

[1] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص ص 191_192.

[2] أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 71.

[3] الهادي مبروك الدالي، مملكة مالي، المرجع السابق، ص 104.

[4] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 302.

عودته من أداء فريضة الحج[1]، وكلف بهذه المهمة البناء والمهندس الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم الساحلي الملقب بالطويجن (ت747هـ/1346م) الذي اصطحبه معه[2] وعبد الله الكومي الغدامسي[3]، وقد أقيم هذا المسجد على أثر بقايا مسجد قديم، ويحتوي المسجد من الداخل على خمسة أروقة وتمتد من الاتجاه الشمالي إلى الجنوبي على ثمانية صفوف ممتدة، وكذلك من الاتجاه الشرقي إلى الاتجاه الغربي[4]، وللمسجد صحنان صحن كبير متسع وصحن صغير متصل بالمئذنة، وبالصحن عدة قبور عليها بعض النقوش وذات زخارف مؤرخة، وللمسجد خمسة أبواب مختلفة الأحجام ثلاثة أبواب من الجهة الجنوبية وبابان من الجهة الشمالية، أما مادة بنائه فكانت من الحجارة والجير[5].

وكان البناء الأول للمسجد متواضعا يتناسب مع حجم سكان المدينة[6]، ويذكر السعدي أن المنسا موسى بنا صومعته على خمسة صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب وتلك عادة السودان أهل المغرب لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم وجوانبها من الخارج[7].

إلا أن هذا الجامع شهد عدة إصلاحات من الحكام والسلاطين في السودان الغربي، حيث قام الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (913هـ_991هـ/1507م_ 1583م) بتهديم جزء من المسجد، وضم إليه مساحة مما جعله أكثر اتساعا وكان ذلك سنة 976هـ/1570م في

---

[1] عائشة بوشقيف، إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسودان الغربي من ق 8هـ إلى 10هـ/ 14م_16م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017_2018، ص 174.

[2] فاطمة محمود مبروك، العمائر الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الأسكيين (898هـ_1000هـ/1492م_1591م)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2008، ص 98.

[3] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 194.

[4] فاطمة محمود مبروك، المرجع السابق، ص 99.

[5] عبد الحميد الهرامة،، تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة، ع4، ليبيا، 1987، ص 228.

[6] عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988، ص 25.

[7] عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 56.

عهد السلطان أسقيا داوود (965هـ_990هـ/1557م_1582م)[1] الذي شارك في إصلاحات المسجد حيث يذكر السعدي: "...وأدرك الجامع مازال ما تمت بناؤه فقال للقاضي هذا الباقي هو سهمي في التعاون على البر فأعطاه في ذلك ما قدر الله تعالى على يده ولما بلغ داره بعث له أربعة آلاف خشب من شجرة كنكو فختم بناءه في هذه السنة..."[2].

ولما زار الرحالة الألماني بارث تنكبت في القرن التاسع عشر الميلادي وصف المسجد بقوله: "يوجد في المسجد أكبر برج، في حين أن الجزء الرئيسي من المبنى يضم تسعة أجزاء مختلفة الحجم، يقدر طوله ب: 292 خطوة، وعرضه ب: 194 خطوة، وفيه سبعة نوافذ في الجانب الشرقي وبه مساحة فسيحة"[3].

وقد تعاقب على هذا المسجد عدد من الأئمة حتى القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي[4]، وقد كان هذا المسجد إلى جانب الصلوات يؤدي رسائل علمية في شكل شروحات للفقه والسيرة والقراءات إلى جانب التفسير واللغة العربية أدى فيها هؤلاء الفقهاء حركية فقهية وعلمية إلى جانب القضاة ممن كانت لهم كراسي علمية ثابتة كالقاضي محمود بن عمر وابنه القاضي العاقب والقاضي أحمد بن أحمد أقيت وغيرهم[5].

والآن يعتبر هذا المسجد من المعالم الأثرية لمدينة تنبكت الإسلامية[6].

---

[1] مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية، مجم 8، ط1، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، 1992، ص 546.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 110.

[3] Barth, opcit, p p 323_325.

[4] بسمة مزري، المرجع السابق، ص 27.

[5] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 303.

[6] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 316.

– مسجد سنكري:

من أشهر المساجد في تنكبت وبلاد السودان الغربي، يقع في الشمال من مدينة تنكبت[1]، يورد السعدي أنه بُني من طرف امرأة أغلالية غنية كثيرة في أفعال البر تُدعى فاطمة بنت أحمد الأغلالي[2]، وقد تم تجديده في عهد دولة صنغاي على يد القاضي العاقب بن محمود أقيت سنة 989هـ/1581م وذلك بعد رجوعه من الحج وجاء إلى تنكبت[3].

وقد بلغ هذا الجامع أوج ازدهاره في عهد إمبراطورية صنغاي زمن الأسقيا الحاج محمد الكبير، وقد ارتفع شأنه بما بلغه من مستوى علمي راقي وأضفى على مدينة تنكبت طابعا مميزا حيث جعلها عاصمة من عواصم الدين والعلم والأدب في مناطق السودان الغربي خاصة والعالم الإسلامي عامة، وقد ذاع صيت هذا الجامع لما بلغه من مستوى علمي رفيع وقد انفتح هذا الجامع على العديد من مراكز العلم والحضارة في الأندلس وشمال إفريقيا[4].

واسم سنكري يعني في اللغة السودانية "السيدة البيضاء"، أي أن تسمية المسجد كانت على السيدة الأغلالية[5]، ويحتوي على ثلاثة أبواب اثنين من الجهة الجنوبية وواحد من الجهة الشمالية وتصطف حول هذا المسجد حوانيت الوراقين الذين ينسخون الكتب للطلبة[6].

علا شأن هذا الجامع حتى صار مركزا ثقافيا إسلاميا حقيقيا لدراسة العلوم الإسلامية واللغوية والدينية، ويُعد أول جامعة بمنطقة الصحراء وصار يضاهي كبار جوامع العالم الإسلامي، وتخرج منه علماء تنكبت

---

[1] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 51.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 62.

[3] محمود كعت، المصدر السابق، ص233.

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 150.

[5] بسمة مزري، المرجع السابق، ص 29.

[6] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 521.

وفقهاؤها واشتهرت فيه عائلة أقيت التي توارثت العلم كابرا عن كابر[1].

وقد أسندت الإمامة والتدريس فيه لعديد الفقهاء الذين كان لهم باع طويل في العلم والورع والتقوى مثل: الولي الصالح أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت[2].

– مسجد سيدي يحي التادلسي

ما قيل عن هذا المسجد أنه بني في ثلاث مرات، فقد بني لأول مرة على يد دولة أمقشرن في القرن الخامس والثانية في القرن التاسع والثالثة في القرن العاشر[3].

وحسب الروايات الشفوية أنه شيد على ضريح ولي صالح قدم من المغرب الأقصى، وجدد بناءه محمد نض حاكم تنكبت وجعل الشيخ سيدي يحي التادلسي إماما فيه وبقي فيه إلى غاية وفاته[4]، وفي سنة 976هـ/1568م قام القاضي العاقب بتجديده وتعديله وختمه سنة 977هـ/1569م[5].

ويُعتبر هذا المسجد من المساجد التي ساهمت في الحركة العلمية بتنبكت[6]، وهو أصغر من سابقيه المسجد الجامع ومسجد سنكري، يقع في قلب تنبكت وقد تولى الإمامة والتدريس به بعد سيدي يحي عدة فقهاء[7].

---

[1] الحاج بنيرد، المرجع السابق، ص 181.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص63.

[3] بسمة مزري، المرجع السابق، ص 30.

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 155.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 109.

[6] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 306.

[7] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 53.

– مسجد سوق تنبكت:

قام بتجديد بنائه القاضي العاقب عام 985هـ[1]، كما أنه بنا مسجد **الهنا** عام 949هـ/1542م لكنه أندرس وخرب ولم يبق إلا موضعه[2].

– مسجد التواتيين:

تم بناؤه من قبل محمد بن علي التواتي الذي قدم من مدينة توات سنة 920هـ/1514م مع جماعة من التواتيين، والأمر الذي دفعهم إلى بناء المسجد لأداء الصلاة راجع إلى الخلافات التي حدثت بينهم وبين بعض علماء تنبكت فاتخذ هذا المسجد من قبل هذه الجماعة التواتية للعبادة والتدريس، فقاموا بنقل ما عندهم من علوم ومعارف إلى السودان الغربي[3].

– مسجد محمد الفزاني:

بُني على يد التاجر محمد الفزاني في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي[4].

ويذكر مهدي رزق الله مساجد أخرى صغيرة هي: مسجد كَبَرَ ومسجد تندرم[5]، وأن الملوك إذا ما أسلموا قاموا بتشييد المساجد ومن أهم المدن التي حظيت بذلك تنكبت[6].

2–الكتاتيب:

أشار ابن بطوطة بأن أهل السودان الغربي كانوا يولون أهمية كبيرة إلى تحفيظ القرآن لأبنائهم وإرسالهم

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 110.

[2] أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 74.

[3] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 196.

[4] الهادي مبروك الدالي، التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص 118.

[5] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 323.

[6] عمار هلال، المرجع السابق، ص 255.

للكتاتيب، وكانوا إذا رأوا تقصيرا منهم في حفظه قاموا بتقييدهم[1].

والكتاتيب في بلاد السودان الغربي تشبه جميع الكتاتيب الموجودة في العالم الإسلامي، بحيث أنها لا تعدو أن تكون حجرة صغيرة مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه أو غرفة في منزل شيخ أو فقيه مفروشة ببعض الحصير[2].

واقتصرت الدراسة في الكتاتيب عند أهل السودان الغربي على حفظ القرآن وتلاوته وتعلم القراءة والكتابة إلى جانب معرفة فروض الدين من عقائد وعبادات[3].

ويذكر محمود كعت أنه كان بتنبكت "مئة وخمسون أو ثمانون مكتبا"[4]، وهذا يدل على مكانة تنكبت كحاضرة علمية وتطور حركة التعليم بها، وقد سماها السعدي "محضرا" لما تحدث عن الفقيه أبي القاسم التواتي: "...قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينهما وبين جاره إلا الطريق الضيق النافذ بعدما ابتنى محضرا في قبالة المسجد لاصقا بها وفيها يقرأ الأطفال..."[5].

وكان المعلم بالاتفاق مع أهل القرية أو المدينة يحصل بموجبه من أسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع فصلا عن الهدايا التي يأخذها بمناسبة ختم الطفل للقرآن الكريم[6]، وقد أورد كعت أنه رأى صبيان يأتون لشيخهم ويعطونه ودعا وهي عادة عندهم تسمى الأربع[7] (حق الأربعاء)[8].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 704.

[2] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 46.

[3] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 284.

[4] محمود كعت، المصدر السابق، ص 296.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 58.

[6] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 202.

[7] محمود كعت، المصدر السابق، ص 180.

[8] مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 203.

ويمكن القول أن الكُتاب قد عُرف باسمه ومفهومه وهدفه في غربي افريقية مثلما كان في المشرق والمغرب الإسلاميين[1].

3-المدارس:

المدرسة هي المؤسسة التعليمية ذات المستوى العالي التي يدرس فيها طلاب العلم مواد دراسية معينة ذات مستوى معين على أيدي أساتذة متخصصين[2].

كان في تنكبت في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي حوالي مئة وثمانون مدرسة قرآنية، وآلاف الطلبة القادمين من جميع أنحاء السودان والساحل وكان الأساتذة وبعض الأهالي يستضيفون الطلبة عندهم، ولم يكن الأساتذة يتقاضون أجورا ولكنهم كانوا يعيشون مع ذلك في بحبوحة كافية ويتفرغون تماما للدراسة ليلا ونهارا[3]، وكان يدرس ويتلقى العلم في هذه المدارس أكثر من ثلاثين ألف طالب كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف السودان الغربي يوم كانت المدينة في أوج ازدهارها[4].

- مدرسة القاضي محمود بن عمر أقيت (ت955هـ):

تقع هذه المدرسة في تنكبت، وهي من المدارس التي اشتهرت بنشاطها حيث تخرج فيها معظم مشاهير علماء تنبكت وقضاتها، وهي أكثر المدارس التي خرجت الكوادر من العلماء منهم: أحمد بن أحمد بن عمر أقيت، وأبناء القاضي محمود بن عمر أقيت والفقيه محمد بن محمود بغيغ (ت1002هـ)[5].

---

[1] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 288.

[2] محاسنة محمد حسين، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص 145.

[3] سينكي مودي سيسوكو، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م، مج 4، اليونيسكو، 1988، ص220.

[4] علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 101.

[5] محمد الفاجالو، الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842هـ_1000هـ/1474م_1591م، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993، ص 171.

- مدرسة كَلْسَخ:

وتعني منبع العلم، تقع في قلب تنكبت أمر ببنائها القاضي محمود بن عمر أقيت، كانت تُدرس فيها العلوم الدينية من تفسير وعلومه وأحاديث نبوية، كما اتُخذت مكانا للاجتماعات وقراءة المديح في المناسبات العامة كالعيد وليلة القدر[1].

- مدرسة الفقيه أبو بكر بن أحمد أقيت (ت991هـ):

من المدارس المشهورة في تنكبت مختصة في النحو واللغة، كان التدريس فيها يعادل المرحلة الثانوية عندنا الآن، من أشهر تلاميذها أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ/1627م)[2].

- مدرسة مودب محمد الكابري[3]:

تقع هذه المدرسة في حي سنكري بتنبكت، اشتهرت مدرسته بالنشاط العلمي وكثرة طلبتها الذين أتوا إليها من جميع أنحاء بلاد السودان الغربي ومن خارجها، تزاحم عليها الطلبة السودانيون والمغاربة على حد سواء[4].

- مدرسة الفقيه محمود بن الحاج المتوكل[5]:

من المدارس التي اشتهرت بتدريس السير والتاريخ الإسلامي بصفة عامة ولصاحبها إلهام بعلم التاريخ وله

---

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 172.

[2] نفسه، ص 172.

[3] من سادات أهل سنكري شيخ الشيوخ، توطن تنبكت في القرن التاسع الهجي، عاصر فيها الفقيه عبد الرحمان التميمي والفقيه أندغ محمد الكبير جد القاضي محمود لأمه، والفقيه عمر بن محمد أقيت الشيخ سيدي يحي التادلسي. يُنظر: عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص 47.

[4] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 173.

[5] ولد عام 1468م، كان صديقا مقربا لأسكيا الحاج محمد، صحبه إلى الحج وشهد الغزو المغربي لسنغاي، توفي عام 1593م.يُنظر: محمود كعت، المصدر السابق، ص 24.

دراية ورواية بتاريخ السودان الغربي[1]، تخرج من هذه المدرسة القاضي محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش الذي أصبح مشرفا عليها، تخرج منها كذلك ابنيه إسماعيل ويوسف إضافة إلى حفيده ابن ابنه الفقيه ابن المختار الذي أكمل كتابه بعده اعتمادا على روايات خاليه إسماعيل ويوسف[2].

– مدرسة أبي زيد عبد الرحمان بن محمود (ت1006هـ):

عُرفت بكثرة طلابها، اشتهر صاحبها بالمهارات العالية حيث جمع بين التدريس والوعظ وأقبل عليه جمع غفير من الناس للأخذ عنه والاستماع لمواعظه حتى تزاحم عليه الناس، وهي من المدارس التي عنيت بتدريس العلوم الدينية وخاصة علم الفقه[3].

– مدرسة المختار بن عمر النحوي (ت922هـ):

من المدارس التي تخصصت في النحو لأن مؤسسها متضلع في النحو حتى أنه أصبح اسما لصيقا به، تخرج منها فطاحلة العلماء في تنكبت وبلاد السودان الغربي منهم ابنه: أبو عبد الله أندغ محمد بن المختار النحوي[4].

كما عرفت تنكبت مدارس عديدة غير هذه المذكورة وكلها كانت تخدم هدفا واحدا هو التعليم الديني بالدرجة الأولى بالإضافة إلى تعليم اللغة العربية وآدابها لأنها لغة القرآن الكريم[5].

تنوعت المؤسسات الثقافية في مدينة تنكبت منها ما بلغت شهرته كل البلاد الإسلامية، حيث توافد عليها طلبة العلم من كل حدب وصوب، وأدت دورا كبيرا في نشر وتثبيت تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية في بلاد السودان الغربي.

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 173.

[2] محمد مولاي، المرجع السابق، ص295.

[3] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 174.

[4] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 295.

[5] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 174.

المبحث الثاني: العلوم والكتب المتداولة في تنكبت

علوم القرآن:

تُعتبر تنكبت من الحواضر التي اهتمت بالقرآن وعلومه فأعطاه العلماء مكانة خاصة حتى أصبح يتنافسون عليه حفظا ودراسة.

1–التفسير:

هو علم يشتمل على معرفة فهم كتاب الله المنزل على نبينا محمد المرسل صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه[1]، ولا يمكن الخوض فيه إلا لمن تمكن من مبادئ اللغة وأصول الكلام، وفائدة هذا العم حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة[2]، أو كما قال حاجي خليفة: "هو البحث في مراد الله تعالى من قرآنه المجيد وتفهم ألفاظه من حيث دلالتها على مراده"[3].

وتعتبر بلاد السودان الغربي من الجهات التي عرفت تفسير القرآن الكريم إن كان محدودا في بدايته إلا أنها عرفت تفسير الجلالين نسبة إلى العالمين جلال الدين عبد الرحمان بن بكر السيوطي المصري (ت911هـ) وجلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي المصري (ت864هـ)، ويبدو أن شيوع هذا التفسير راجع لاختصاره وللمكانة التي يحتلها الإمام السيوطي في بلاد السودان الغربي[4]، وهو الذي قابله الأسكيا محمد في مصر أثناء زيارته لها في رحلته الحجية سنة 902هـ/1490م.

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2005، ص457.

[2] محمد بوشقيف، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14/15م)، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2010_2011، ص 122.

[3] حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، مكتبة المثنى، بيروت، ص ص 427_428.

[4] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 686.

ومن مشاهير المفسرين في السودان الغربي محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت909هـ) له تفسير سورة الفاتحة وتفسير آخر يسمى البدر المنير في علوم التفسير[1]، ومن المفسرين البارزين في تنكبت الفقيه أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب كان عالما فقيها متقنا للتفسير وفي علوم أخرى[2]، توفي سنة 942هـ[3].

ونجد كذلك محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرمي التنبكتي عُرف بِبَغْيُغ (ت1002هـ) الذي أخذ عنه أحمد بابا التفسير والحديث وعدة علوم ولازمه أكثر من عشرين سنة[4]، هذا الأخير الذي كان بارعا في التفسير رغم أنه لم يترك مصنفا مستقلا إلا أنه مُجاز في هذا العلم[5].

2–القراءات:

هو علم ينقل لغة القرآن وإعرابه الثابت بالسماع المتصل، كما يضبط به متن كلام الله تعالى بوجوهه النازلة عليها المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو علم القراءات السبع وبه يبحث عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة ومبادئه مقدمات تواترية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط هذه الاختلافات وفائدته صون كلام الله عز وجل عن التحريف والتغيير[6].

نشطت علوم القراءات في تنكبت وانتشرت بروايتي ورش وقالون اللتان كانتا تُدَرسان في البلاد، ومن العلماء الذين ساهموا في هذا العلم نجد:

---

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 227.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص ص 36_37. البرتلي، المصدر السابق، ص 39. محمد الفاجالو، نفسه، ص 228.

[3] أحمد مطير سعد غيث، الثقافة العربية والإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين 10_11هـ/16_17م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، مصر، د.ت، ص 239.

[4] البرتلي، المصدر السابق، ص 31.

[5] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 686.

[6] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 455.

سيدي بن عبد المولى الجلالي حامل لواء قراءتي ورش وقارون في زمانه[1]، أخذ عنه القراءات الفقيه أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب (ت1014هـ)[2].

كذلك نجد الفقيه إبراهيم الزلفي المقرئ عالم التجويد، كان من المدرسين في مدرسة أبو القاسم التواتي قبالة المسجد الجامع في تنبكت[3]، ومن الذين اشتهروا بعلم القراءة والتوثيق عبد الله بن أحمد بري بن أندغ محمد الكبير (ت1010هـ/1602م)[4]، وإبراهيم بن أبي بكر بن القاضي الحاج الذي روى عنه السعدي أنه لا يحول بينه وبين المصحف إلا إقراء العلم[5].

علم الحديث الشريف

يعد علم الحديث ومصطلحه من أشرف العلوم الدينية وأهمها بعد علوم القرآن، وهو علم يراد به معرفة معاني قول الرسول صلى الله عليه وسلم ويعبر عنه بالسنة[6]، ويراد به حفظ ما نُقل عن الرسول عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير وما نقل عن أصحابه، وقد اهتم المسلمون بعلم الحديث اهتماما كبيرا لما له من أهمية في حياتهم الخاصة والعامة لأنه يُعد المصدر الثاني بعد التشريع، وبه يتضح أحكام القرآن وتفسيره[7]، ومصدره الوحي من الله سبحانه وتعالى لقوله عز وجل: **{ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلّا وَحيٌ يُوحَى }**[8].

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 218. جاء في فتح الشكور باسم سيدي ابن عبد المولى الجملال. يُنظر: البرتلي، المصدر السابق، ص 111.

[2] السعدي، نفسه، ص 218.

[3] السعدي، نفسه، ص 30. البرتلي، المصدر السابق، ص 71. محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 227.

[4] السعدي، نفسه، ص 30. البرتلي، نفسه، ص 158.

[5] السعدي، نفسه، ص 36. البرتلي، نفسه، ص 39.

[6] ابن خلدون، المقدمة، ص 459.

[7] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية وثقافية، ج 2، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 440.

[8] سورة النجم، الآية الثالثة والرابعة، القرآن الكريم، رواية ورش، ط1، دار الإرشاد للنشر، سوريا، 2014، ص 526.

ومن هنا اهتم به المسلمون وأولوه عناية عظيمة ووضعوا له قواعد وضوابط، وهذا ينطبق على بلاد السودان الغربي التي اشتغل علماؤها بعلم الحديث تدريسا وتأليفا، ومن أبرز علماء تنكبت الذين برزوا في هذا العلم نجد:

أبو عبد الله محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب (ت1014هـ) ومن تآليفه "**تكملة البخاري على اللامية**"، وله **حاشية على البخاري**[1].

ومن الذين برعوا في علوم الحديث القاضي محمد بن محمود بن أبي بكر المشهور بِبَغيُغ، والذي اشتهر بنبوغه في عدة علوم منها علم الحديث الذي تلقاه أثناء رحلته إلى المشرق الإسلامي ثم عاد إلى تنبكت ودرّس هذا العلم[2].

علم الفقه:

عرف ابن خلدون الفقه بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"[3].

وهو يتناول جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته الشخصية والدينية الاجتماعية والاقتصادية ويضع القواعد التي تنظم حياته[4]، وبتطرقنا لموضوع الفقه في تنكبت هذا ما سيؤدي بنا للحديث عن الفقه المالكي، لأن سكان هذه المنطقة اعتنقوا المذهب المالكي منذ القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي

---

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 233.

[2] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 143.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 465.

[4] عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 445.

بعد الانتشار النهائي للإسلام بمذهبه السني المالكي، وأصبح الدين الرسمي في هذه البلاد ويعتنقه الحكام والمحكومون[1].

وإن منبع الفقه المالكي من علماء المغرب الإسلامي لأن بلاد السودان الغربي هي صدى لبلاد المغرب[2]، وشهدت البلاد انتشار كتب الفقه المالكي المعروفة بالمغرب الإسلامي[3]، ويرجع ازدهار الحركة الفقهية في بلاد السودان الغربي إلى رحلة المنسا موسى إلى الحج عام 724هـ/1321م والتي زار من خلالها عدد كبير من الفقهاء المالكية في مصر وجلب العديد من الكتب التي تهتم بالفقه المالكي[4].

ومن العلماء الذين اهتموا بالفقه في تنكبت محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرمي التنبكتي (ت1002هـ/1593م) شيخ وأستاذ أحمد بابا قرأ عليه كل أمهات الكتب في الفقه، له تعاليق وحواشي على شرح خليل، وتتبع ما في الشرح الكبير للتتائي من السهو نقلا وتقريرا جمعهما أحمد بابا في جزأين[5].

علوم اللغة االعربية:

اقترن انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية بانتشار اللغة العربية وعلومها في السودان الغربي، إذ سارت الدعوة الإسلامية جنبا إلى جنب مع اللغة العربية[6] فأصبحت لغة التعليم في مدارسهم ولغة إدارة الحكم في ممالیکهم[7]، ومن الكتب التي كانت تُدرَس في تنكبت: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، وشرح

[1] سحر عنتر أحمد مرجان، فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغاي (268هـ_1000هـ /1230م_1591م)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، ص56.

[2] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 236.

[3] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 255.

[4] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 140.

[5] التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج، المصدر السابق، ص ص 600_603. السعدي، المصدر السابق، ص ص 43_47.

[6] إبراهيم علي طرخان، دولة مالي، المرجع السابق، ص 60.

[7] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 146.

الكافية الشافية في علم النحو وشرحا عن لامية الأفعال، وكتاب الأصول لابن السراج والخزرجية، وتلخيص المفتاح وشرحه في البلاغة[1].

1-علم النحو:

النحو يُتَعرف منه على أحوال اللفظ المركب من جهة ما يلحقه من التغايير المسماة بالإعراب والبناء، وأنواعها من الحركات والحروف ومواضعها ولزومها وكيفية دخولها في الجمل لتبين دلالتها[2].

انتشرت عدة مؤلفات تعد من المصادر الأساسية في النحو مثل ألفية بن مالك ومت الأجرومية[3]، ومن المساهمين في هذا العلم نجد: المختار النحوي بن أندغ محمد (ت922هـ) لُقِّب بالنحوي لتضلعه في النحو[4]، وابنه أبو عبد الله أندغ محمد بن المختار النحوي شهير في اللغة العربية[5].

وبرز في علم النحو أحمد بن أندغ محمد بن أحمد بن أحمد أندغ محمد (حي عام 1001هـ/ 1592م) الفقيه النحوي اللغوي، له شرح على الأجرومية سماه **الفتوح القيومية في شرح الأجرومية** فيه فوائد مهمة ويتميز بأسلوب علمي موضوعي ممتاز[6]، ومن كتبه أيضا **شرح المختصر** مخطوط يوجد أربعة عشر نسخة في مكتبة تمكروت برقم 2354، وخزانة الرباط برقم1360، وخزانة جامع الكتبية بمكناس برقم 236/49/62[7].

---

[1] بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 207.

[2] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 176.

[3] الأجرومية:مؤلف في النحو مقسمة إلى أبواب، مؤلفها هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي الفاسي المشهور ب"ابن آجروم"، توفي بفاس عام 723هـ/1323م. يُنظر: مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 688.

[4] السعدي، المصدر السابق، ص 28. البرتلي، المصدر السابق، ص 113.

[5] السعدي، نفسه، ص 29. البرتلي، نفسه، ص 107. أحمد الأرواني، المصدر السابق، ص 27.

[6] البرتلي، نفسه، ص 39. أحمد الأرواني، نفسه، ص 97. سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 258.

[7] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 253.

كما ساهم في النحو أبو عبد الله محمد بابا الأمين المختار التنبكتي (ت1014هـ/1595م)، اشتهر بمؤلفه **المنح الحميدة في شرح الفريدة** وهو شرح لألفية السيوطي في النحو[1].

2-الشعر:

تنوعت أغراض الشعر في بلاد السودان الغربي بتنوع اهتماماتهم فيه، فقد ظهر شعر الرثاء وشعر المديح خاصة في مدر الرسول صلى الله عليه سلم والاشتياق لزيارة قبره الشريف، وأيضا في الشوق والحنين للأوطان[2]، وقد عرفت تنكبت هذه الأنواع من الشعر:

الرثاء:من شعراء تنبكت نجد يحي التادلسي (ت866هـ) أحد فقهائها وعلمائها له قصيدة يرثي بها القاضي محمد الكابري وتتضمن اثنان وعشرون بيتا، من أبياتها:

تَذكر ففي التذكار خير الفوائــــــد   وفي طيّه ورد على خـــيـــر وارد

ألم تر سفر الحثِّ بالفضل خصَّصو   وسفر ذوي الأفكار أخطى بزائـد

تُفيء لـبَّ المرء طيـبة الصــبـــا   فيلحق فتيانا ويقوى لســاعـــد

إلى غاية:

وصلى إله العرش ربي يمنـــــه   على خير مبعوث وأفضل شاهد

محمد المختار للختم رحمـــــة   بتميم أخلاق كرام المعاهـــــد[3].

المدح: هناك من نظم الشعر في المدح ونجد منهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن الأمين المختار التنبكتي (ت1014هـ/1595م)، له قصائد في الأمداح وله قبل وفاته قبل وفاته بخمس سنوات أو أزيد في كل

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 217. البرتلي، المصدر السابق، ص 111. بودواية مبخوت، المرجع السابق، ص 207.

[2] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 49.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 49.

مولد نبوي قصيدة فصيحة التزمها، وله قصيدتين يمدح فيها شيوخه منها القصيدة التي مدح فيها شيخه محمد الولاتي حينما رجع من المغرب إلى تنكبت يقول فيها:

نيل الرياح والنجاح السرمــد   والسير في النهج القويم السرمدي

فازت به تنكبت دون مغـارب   ومشـارق من كل قطر أبـــعــد

فتباشرت ألمها وتشامخـــــت   أعــــلامــها من راسبات ركــــد

وبـــحبها من فضله أرجاؤها   محمول سر الوحي نور المهتدي[1]

الحنين: أما قصيدة الحنين نجد قصيدة نسبت لأحمد بابا التنبكتي عندما كان أسيرا في مراكش بعد الغزو المغربي لتنبكت، عدد أبياتها ثمانية يتذكر فيها بلده ويحن إليه، مما جاء فيها:

أيا قاصدا غاو فعُج نحو بلدتي   وزمزم لهم باسمي وبلغ أحــبــتي

سلاما عطيرا من غريب وشائق   إلى وطن الأحباب رهطتي وجيرتي

إلى غاية:

وشبان بيتي سارعوا عن أخيرهم   إلى ملك الأملاك في وقت غربتـــي

فوا أسفا منهم وحزنـــي عليهم   فيا رب فارحمهم بواسع رحمـــتـــــي[2]

العلوم الاجتماعية:

عرفت تنكبت ظهور علماء مؤلفون في العلوم الاجتماعية خاصة في علم التاريخ والتراجم:

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 218. البرتلي، المصدر السابق، ص 111. محمد الغربي، المرجع السابق، ص 545.

[2] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 258. عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 158.

1-علم التاريخ:

لقي اهتماما في السودان الغربي حيث ألفوا في تاريخ بلادهم وسير علمائهم، وهناك رجلين بارزين قد أنتجا في ميدان التاريخ إنتاجا سودانيا قائما بذاته وهما: محمود كعت، وعبد الرحمان السعدي ابن الحاج المتوكل[1]، ومُؤلَّفيهما هما:

تاريخ الفتاش:

لصاحبه محمود كعت الكرمني دارا، التنبكتي مسكنا، الوعكري أصلا[2]، توفي عام 1002هـ/1593م[3]، عاصر في بداية شبابه الأسقيا الحاج محمد ، سكن تنكبت وتلقى العلم على فقهائها[4]، وابتدأ كتابه وهو في سن الخمسين، وحضر احتلال المغاربة للسودان[5] مما يعطي كتابه ميزة خاصة سيما وأنه كان يصور تلك الأحداث وهو مقيم لمدة سنتين في البلاط السوداني، ويروي ما سمعه من الأسقيا ورجال دولته[6].

وسمى كتابه "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار"[7]، وترجع أهميته إلى كونه مصدرا أساسيا في تاريخ دولة صنغاي السياسي والثقافي والاجتماعي، وقطفا من تاريخ الدول الإسلامية الأخرى مثل مالي، وقد وقفت الأحداث التي

---

[1] عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 160.

[2] محمود كعت، المصدر السابق، ص 87.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 211.

[4] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 531.

[5] يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 198.

[6] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 531.

[7] محمود كعت، المصدر السابق، ص 90.

تناولها كعت عند السنوات الأولى للغزو المغربي لدولة صنغاي سنة 1000هـ/1591م[1]، ويتميز بأنه ملخص لعدة مصادر كتبها مؤلفون قبله في نفس المادة[2].

تاريخ السودان:

لصاحبه عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي أو السعيدي التنبكتي، ولد عام 1004هـ/1597م وتوفي بعد سنة 1065هـ/1655م[3]، تربى في عائلة اشتهرت بالعلم والفقه فدرس على والده الفقيه عبد الله بن عمر الذي أخذ العلم عن شيخه القاضي التنبكتي محمود بن عمر بن محمد أقيت[4]، وتلقى العلم في شبابه على يد أحمد بابا التنبكتي وغيره من علماء المنطقة، وقد حدث الاحتلال المغربي لدولته قبل مولده بخمس سنوات ، وقد انعكست الروح المعادية للاحتلال في كتاباته، وفي أثناء تواجده في تنبكت تولى منصب إمام مسجد سنكري عام 1039هـ/1629م[5].

وقسّم السعدي كتابه إلى ثمانية وثلاثين بابا[6]، و"تاريخ السودان" على الرغم من عنوانه العريض إلا أنه يركز على تاريخ دولة صنغي وفترة الاحتلال المراكشي لها، ولم تحظ مالي عنده إلا بالقليل وينصب اهتمامه الأكبر على مدينة تنكبت مسقط رأسه، فهو يؤرخ لها منذ أن كانت محطة صغيرة للقوافل حتى أصبحت العاصمة الثقافية الأولى في غربي افريقية على مدى ثلاث قرون من القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر[7].

---

[1] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 33.

[2] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 274.

[3] البرتلي، المصدر السابق، ص 176.

[4] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمتعربين والمستشرقين، ط3، ج7، ص 84.

[5] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 26.

[6] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 534.

[7] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 27.

وممن كتب عن صنغاي الفقيه الإمام ابن بكر سن بن عمر، وله كتاب في تاريخ صنغاي وكتب عن أسقيا إسحاق وعن الحروب التي جرت بينه وبين الباشوات من أهل مراكش، وقد نقل عنه صاحب كتاب تاريخ الفتاش المتقدم ذكره[1].

علم المنطق:

يعرفه ابن خلدون: "هو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات[2]، وهو علم يعصم الذهن من الخطأ في الفكر، ويقال: فلان منطقي أي يفكر تفكيرا"[3].

وهو من العلوم القليل الاشتغال بها في السودان الغربي، ويعتبر الإمام المغيلي الأستاذ الأول لعلم المنطق في هذه البلاد[4]، وقد لقيت مؤلفاته في المنطق قبولا واستحسانا في مدارس بلاد السودان الغربي، حيث أولوه بالحفظ والشرح فظهرت محاولات جادة في هذا المجال[5]، ومن العلماء الذين ألفوا في هذا العلم بتنبكت:

الفقيه أحمد مُعيا(ت1002هـ) من علماء مدينة تنكبت البارزين ومن مدرسيها المشهورين ومؤلفيها المعروفين، تخصص في الشرعيات وعلم المنطق، واشتهر بذلك لمهارته وإتقانه وأفاد بعلمه جمعا كبيرا من الدارسين[6].

---

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 271.

[2] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 527.

[3] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 251.

[4] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 262.

[5] أحمد مطير سعد غيث، الثقافة العربية، المرجع السابق، ص 248.

[6] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 283.

الطب:

عرفت بلاد السودان الغربي علم الطب في وقت مبكر، حيث يذكر ابن بطوطة أنه أصبح مريضا بعد أن أكل عصيدة مفضلة عندهم، وكان بهم ستة أشخاص ومات أحدهم فعالجه بعض المصريين بدواء فتقيأ ما أكله[1].

وكان في تنبكت طبيب مختص اسمه "إبراهيم السوسي" في ميناء كَبَرَ، عالج أحد إخوة عبد الرحمان السعدي من مرض لازم عينه، وعرفوا خياطة الجروح وتضميدها وقطع النزيف بالزيت المغلي ومعالجة السموم بخلاصة بعض النباتات[2].

وكان الأطباء على مستويات مختلفة ولكنهم كانوا يؤدون مهام أعمالهم تحت إشراف الدولة، وكان للعلماء مساهمة كبيرة في محاربة الأمراض على منهج ما وضعه السلف الصالح من كتب الطب النبوي ويضيفون إلى ذلك ما توارثوه عن أجدادهم في البلاد[3].

---

[1] ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 695.

[2] نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نيويورك، ص 148.

[3] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 292.

المبحث الثالث: أهم أعلام مدينة تنكبت:

– **الفقيه الحاج**: تولى القضاء بتنبكت أواخر دولة مالي وهو أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن في جامع سنكري بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء، جاء من بير (ولاتة) وهو من العلماء الذين هاجروا أو استقدموا في عهد مملكة مالي الإسلامية إلى تنكبت للمشاركة في النهضة الثقافية للمدينة في القرن التاسع الهجري[1].

– **الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد**: أندغ محمد بن عثمان بن محمد بن نوح التنبكتي، من علماء القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، معدن العلم والصلاح، منه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الأمهات ومنهم من جهتهما معا، وهو جد أحمد بابا التنبكتي الذي يقول فيه: "هو أول من خدم العلم من أجدادي فيما أعلم، وهو أبو أم جدي تولى القضاء بتنبكت أواسط القرن التاسع الهجري"، عاصر سيدي يحي التادلسي[2].

– **الفقيه يحي التادلسي**: هو يحي بن عبد الرحمان الثعلبي بن يحي البكاء بن أبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين[3].

قدم إلى تنبكت فترة حكم كي محمد نض بين عامي 837هـ و876هـ[4] فالتقاه وأكرمه غاية الإكرام،

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 26. البرتلي، المصدر السابق، ص 82. أبو بكر إسماعيل ميقا، أشهر علماء تنكبت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع11، الرياض، 1415هـ، ص 213.

[2] السعدي، نفسه، ص 28. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 281. البرتلي، نفسه، ص 112. الأرواني، المصدر السابق، ص 82. إسماعيل ميقا، أشهر علماء، نفسه، ص 215.

[3] السعدي، نفسه، ص 50.

[4] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 228.

فابتنى له مسجدا وجعله إماما فيه وسمي هذا المسجد باسمه[1]، انتشر ذكره في الآفاق والأقطار، وقال فيه الفقيه محمود بن عمر أقيت: "ما وطئت قدم تنكبت قط إلا وسيدي يحي أفضل من صاحبها"[2]، توفي رحمه الله عام 866هـ/1461م[3].

– **الفقيه القاضي كاتب موسى**: من أشهر أئمة الجامع الكبير، مكث في الإمامة أربعون سنة دون أن يتخلف ولو في صلاة واحدة بسبب صحة البدن التي رزقه الله إياها، رحل إلى فاس بأمر من السلطان منسا موسى لتحصيل العلم[4]، وهو من علماء السودان البارزين الذين ظهر أثرهم جليا في نمو الحركة الفكرية والثقافية وأسهموا بقسط وافر من العلم في ازدهار الحركة العلمية المباركة في السودان الغربي كله وتنكبت خاصة[5].

– **الفقيه صديق بن محمد تعلى**: كابِريٌّ الأصل، جَنْجَوِيٌّ المولد، كان فقيها عالما فاضلا خيِّرا، ارتحل من جَنْج إلى تنبكت وتوطن فيها إلى أن توفي، كان صاحب مدرسة في بلدته جنج وفيها طلبة نجباء، تركها من أجل الاستزادة في العلم بتنبكت، ولاه القاضي محمود بن عمر أقيت الإمامة بالجامع الكبير ومكث فيها أربعة وعشرون سنة، توفي رحمه الله عام 973هـ[6].

– **الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد بن عثمان**: عاصر هو وأبوه يحي التادلسي، عالم بكل فن من فنون العلم، تولى القضاء وتميز بالعدل والزهد، رابع أئمة مسجد سنكري وهو خال أبناء عمر بن محمد

---

[1] البرتلي، المصدر السابق، ص 217.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 50.

[3] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 179.

[4] السعدي، المصدر السابق، ص 57.

[5] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 229.

[6] نفسه، ص 230.

أقيت، توفي عام 922هـ/1516م، كان من العلماء الذين ساهموا في بناء قواعد النهضة الثقافية وازدهارها بتنبكت[1].

– **الفقيه أبو عبد الله محمد بن أندغ محمد (956هـ_1020هـ/1548م/1611م)**: محمد بن أندغ محمد بن أحمد بن بُري بن أحمد بن أندغ محمد الجد، كان عالما ناضرا فقيها محدثا قاضيا، تولى القضاء في تنكبت عام 1017هـ/1607م، وكان في عمره ستون سنة، من شيوخه بركات بن محمد بن عبد الرحمان الحطاب المكي بمكة المكرمة، كان مثل والده يدرس كتاب الشفا في رمضان بمسجد سنكري إلى أن مات رحمه الله تعالى[2].

– **الفقيه أبو العباس أحمد بن أندغ محمد بن محمود بن أندغ محمد الكبير**: وصفه السعدي بالذكي الفطن العا لم بفنون العلم من الفقه والنحو والأشعار وغير ذلك[3]، ولعله عاصر أحمد بابا التنبكتي[4]، وهو من الذين ظهر لهم أثر بارز في ازدهار الثقافة الإسلامية العربية إلى أبعد الحدود في طول البلاد وعرضها في أيام ازدهار دولة صنغاي الإسلامية[5].

– **الفقيه أبو محمد عبد الله بن الفقيه أحمد بُرِيُ بن أحمد بن أندغ محمد الكبير**: هو من ذرية أندغ محمد الكبير من جهة الأب والأم معا لأن أمه أخت الفقيه أحمد أندغ محمد، كان مفتيا في ومنه نحويا لغويا

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 29. البرتلي، المصدر السابق، ص113. الأرواني، المصدر السابق، ص ص 82 83. إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 216.

[2] السعدي، نفسه، ص 29، 219، 308. البرتلي، المصدر السابق، ص 109. أحمد سعد غيث مطير، الإسهامات الثقافية لمشاهير العوائل في السودان الغربي: آل أندغ محمد أنموذجا، كلية الآداب والتربية، جامعة الزيتونة، ص 06.

[3] السعدي، نفسه، ص 30.

[4] البرتلي، المصدر السابق، ص 38.

[5] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 218.

متواضعا اشتهر في زمانه بعلم القرآن والتوثيق، ومن أسباطه شيوخ الإسلام الفقيه عبد الله، والفقيه الحاج أحمد، والفقيه محمود أبناء عمر بن محمد أقيت، توفي عام 1010هـ/1601م[1].

– **محمد بن محمود بَغْيُغ**[2] (**930هـ_1002هـ/1523م/1593م**)[3]: محمد بن محمود بن أبي بكر الونكرمي التنبكتي، ولد بمدينة جِني، وهو ابن قاضيها الشهير محمود بغيغ[4]، وهو من أشهر علماء تنكبت في وقته وأكثرهم ملازمة للتعليم ونفعا للطلاب وأهل العلم، ومن أشهر شيوخ أحمد بابا وأشدهم تأثيرا فيه وفي كل تلاميذه، وكان مثار عجب معاصريه في الصبر على إيصال الفائدة والمعلومات إلى البليد من تلاميذه بلا ملل ولا ضجر[5]، حيث يذكر أحمد بابا: "كان له صبر عظيم على التعليم آناء النهار وحصل على إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا كسل حتى يضجر حاضروه وهو لا يكترث"[6]، رحل للمشرق وحضر مجالس العلم بمصر حيث تتلمذ على أشهر العلماء من أمثال الناصر اللقاني والتاجوزي ومحمد البكري وبعد الحج رجع إلى تنكبت[7]، ويذكر أحمد بابا أنه لم ينتفع بأحد كانتفاعه بحمد بغيغ، وأجازه كل ما يجوز له عنه، وكان حاضرا يوم الكائنة العظمى بتنبكت وهي نكبة العلماء خاصة أسرة آل أقيت أثناء الغزو المغربي للمدينة، توفي بها عام 1002هـ/1593م[8] عن عمر يناهز اثنين وسبعون سنة[9].

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 30، 215. البرتلي، المصدر السابق، ص 158. إسماعيل ميقا، أشهر علماء، نفسه، ص 219.

[2] بغيغ: في لغة السراكولي تتكون من لفظين: الأول "بغ" ويعني الأزرق والثاني "يغ" وتعني الرجل فبتركيب اللفظين يعني "لابس الأزرق". يُنظر: أحمد سعد غيث مطير، تنبكت: نشأتها وأهم مراكز العبادة بها حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد، مجلة جامعة الزيتونة، ع 3، 2012، ص 117.

[3] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 231.

[4] بسمة مزري، المرجع السابق، ص 55.

[5] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 231.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 600.

[7] محمد الغربي، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 523.

[8] أحمد بابا ، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 602.

[9] الأرواني، المصدر السابق، ص 132.

– **الفقيه مَسَرَ بوب الزغراني**: ينسب لقبيلة الزغرانيين في غرب السودان الغربي وكان رحمه الله عالما فاضلا خيرا صالحا نادر المثل في قبيلته، وقد اشتهر بالعلم والصلاح على الرغم أنه ينحدر من قبيلة زغران التي وصفها السعدي بأنها لا تُعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام[1].

كان من أصحاب الفقيه محمود بن عمر أقيت كما لازمه الفقيه عبد الرحمان بن محمود وتتلمذ على يده، قيل أنه كان في مدرسته ذات يوم فطلبه الناس لصلاة الجنازة فسأل عنه فقالوا له زغراني (شخص من قبيلة الزغرانيين) فقال نصلي عليه لأجل الشيخ مسر بوب[2]، كان من المساهمين في نشر العلم والثقافة الإسلامية في تنكبت.

– **الفقيه محمد عريان الراس**: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الراس، كان زاهدا سخيا، أخرج من ماله كله صدقة لله، كان يزور الناس من كل فج وفي كل ساعة وأكثرها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، من أصدقائه الفقيه أحمد بن الحاج أحمد والد أحمد بابا، ومن تلاميذ عبد الرحمان بن محمود أقيت، ويسميه أهل سنكري محمد ولد أد علي[3]، توفي رحمه الله عام 1027هـ[4].

تنوعت مظاهر الحركة الفكرية في تنكبت حيث شهدت قيام مراكز علمية مختلفة، كما تمّ تداول العلوم والمعارف الإسلامية التي كان مصدرها المغرب والمشرق الإسلاميين عن طريق قوافل التجارة وقوافل الحج، وعجّت تنكبت بالعلماء والفقهاء وطلبة العلم وتوافدوا عليها من شتى الحواضر الإسلامية ليَدرسوا أو يُدرِّسوا في جوامعها ويستفيدوا من علمائها.

---

[1] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 229.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 52.

[3] السعدي، نفسه، ص ص 52_56.

[4] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 237.

الفصل الثاني:

التعريف بأسرة آل أقيت

المبحث الأول: أصل العائلة وأبرز أعلامها

المبحث الثاني: علاقة آل أقيت بالسلطة

المبحث الثالث: محنة العائلة خلال الغزو السعدي

تُعتبر أسرة أقيت من أعرق وأشهر الأسر في تنكبت وبلاد السودان الغربي، حيث قامت بأدوار كبيرة طيلة قرنين من الزمن سواءا من الناحية السياسية أو الثقافية، فكان لابد من التعريف بهذه العائلة بدءا من أصولها وجذورها الأولى وتقديم ترجمة لعلمائها الذين كانت لهم مساهمة فعالة في الحركة العلمية بتنبكت، إضافة إلى تسليط الضوء على علاقتهم بالحكام الذين تعاقبوا على المدينة، ونظرا للتأثير الكبير لهم على المجتمع التنبكتي عاشت العائلة محنة عصيبة على يد الاحتلال السعدي الذي قام بتهجيرهم إلى مراكش.

المبحث الأول: أصل العائلة وأبرز أعلامها

إن البحث في أصل عائلة أقيت أمر ضروري لإماطة اللثام عن الجذور الأولى لأصل هذه العائلة.

أصل العائلة:

كان بنو أقيت التكروريون من أهل مدينة تنكبت وممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان، دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والأئمة والقضاء وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة، وكانوا من أهل اليسار والسؤدد الذين لا يبالون بالسلطان فمن دونه[1].

أجمعت المصادر على أن أصل هذه العائلة يرجع إلى إحدى قبائل البربر الكبرى وهي قبائل صنهاجة الصحراوية[2]، ولكن هناك خلط حول أصلهم، هل ينتمون إلى قبيلة جدالة أم إلى قبيلة مسوفة ، ويمكن أن

[1] أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 129.

[2] أصول قبائل صنهاجة ترجع لقبائل حِمير اليمنية، استقروا ببلاد المغرب ليأخذوا خراجهم ويدبروا أمرهم، وقيل صنهاجة فخذ من هوارة وهوارة فخذ من حِمير، وتنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة منها: لمتونة، كدالة، مسوفة، لمطة، مسراتة، تكلاتة...، وفي كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى وهذه القبائل كلها صحراوية، وكان أول ملك منهم بالصحراء "يتلوتان بن تلاكاكين" الصنهاجي اللمتوني، ملك بلاد الصحراء بأسرها. يُنظر: ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص ص 119_120.

نصل إلى نتيجة حول هذا الأصل بالقول بأنهم ينتمون أصلا إلى قبيلة جدالة[1]، وأن تبرير إسناد نسبهم وأصلهم إلى قبيلة مسوفة[2] يرجع إلى أنه من المرجح أن يكون هناك مجموعة من قبيلة جدالة قد هاجرت إلى أرض قبيلة مسوفة، وعند الاندماج لم يبق من أصول هذه القبيلة سوى الإسم القبلي الذي سوف يصبح على مدار الأيام إسما للأسرة، ونظرا لتفوق قبيلة مسوفة على القبائل الأخرى لحساب هذه القبيلة، مما أضعف من إسم جدالة وجعلهم يطلقون عليهم مسوفة[3].

وما يؤكد أصل عائلة أقيت إلى قبيلة جدالة والأصل الصنهاجي وإلى الأماكن التي استقروا بها من خلال ما أورده البرتلي في تقديمه لأحمد بابا:" سيدي أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشت بن تنفر بن جبراي بن أكنبر بن أنص بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني"[4].

هذا ما يؤكد انتماءهم إلى قبيلة جدالة، وأرجع أصل العائلة إلى أبي بكر بن عمر الصنهاجي[5] لإضافة

---

[1] قبيلة جدالة: من القبائل الصنهاجية القوية تمتد جنوب الصحراء حتى نهر السنغال، اتخذت وليلي مركزا لها حيث يكثر الملح، قريبة من غانة وشعب صنغاي الواقع على الضفة اليسرى من منحنى نهر النيجر، قريبة من أودغشت وطريق سجلماسة وهي أقرب قبائل الملثمين من بلاد السودان. يُنظر: حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 46.

[2] قبيلة مسوفة: من أشهر القبائل الصنهاجية تقع بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب، كانت تسيطر على الطريق الحيوي للتجارة السودانية. يُنظر:حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 46.

[3] سوزي أباظة محمد حسن، عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنكبت، مجلة الدراسات الإفريقية، ع 26، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2004، ص 142.

[4] البرتلي، المصدر السابق، ص 31.

[5] لم تذكر كتب التاريخ شيئا عن ولادة ونشأة الأمير أبي بكر بن عمر، ما عدا ما أورده ابن أبي زرع الفاسي حول نسبه، والده هو عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق اللمتوني المحمدي الصنهاجي، واسم أمه صفية وهي امرأة حرة من قبيلة جدالة، شارك مع عبد الله بن ياسين الزعيم الروحي للمرابطين في حروبه في بلاد السودان الغربي، عينه أميرا على المرابطين إثر وفاة أخيه سنة 448هـ/1056م، استشهد في أحد غزواته ببلاد السودان سنة 480هـ/1087م. يُنظر: خالد حموم، دولة المرابطين في عهد الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني 448-480هـ/1056-1087م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع 10، 2017، ص ص 8_10.

العظمة والشرف إلى أصل هذه العائلة ويؤكد الأصل الشرقي لها[1].

أما عن أهم فروع هذه العائلة وأهم أماكن استقرارهم فنجد أن أقرب الأجداد لهذه العائلة كان يحي وعلي وعمر، وهم السابقون للجد محمد بن عمر أقيت، ولم تذكر المصادر عنهم شيئا يُغني، ومن المحتمل أنهم عاشوا في القرن الرابع عشر وأن عمر قد توفي في الثلث الأول من القرن الخامس عشر وخلفه ابنه محمد بن عمر أقيت وهو الجد الأكبر لهذه العائلة[2]، الذي هاجر من موطنه الأصلي ماسنة إلى ولاتة بسبب بُغضه للفلانيين الذين كانوا يجاورونه وخشي أن يتناكح معهم أبناؤه فقرر الرحيل حتى لا يتناسلوا معهم[3]، ثم بعد ذلك خطر له حب سكنى تنكبت لكنه منعه من ذلك العداوة التي كانت بينه وبين سلطانها "آكل" زعيم الطوارق[4].

وقد تم له سكنى تنكبت بعد وساطة من الفقيه أبي عبد الله أندغ محمد الذي كان قاضيا لتنكبت، وكان لأسرته نفوذ وشهرة في هذه المدينة[5]، واستقر بأبنائه الثلاثة عمر وأحمد ومحمود، وذلك لضمان العلم والتربية والتربية السليمة فيها نظرا لما كانت تتمتع به من إشعاع علمي وثقافي في هذه الفترة (القرن الثامن الهجري) واشتهر منهم عمر[6] الذي صاهر أسرة أندغ محمد، وبذلك فتح لهم هذا الباب المكانة التي سوف يحتلونها فيما بعد نتيجة لهذه المصاهرة، لأنه في الوسط البربري جنوب الصحراء كانت الأم والخال يلعبان دورا هاما بالنسبة للأولاد وتعليمهم[7].

أما عن صلة المصاهرة التي ربطت آل أندغ محمد مع آل أقيت، فإن زوجة عمر بن محمد بن عمر أقيت والد كل من: أحمد بن عمر أقيت (864-943هـ/1459-1537م)، وعبد الله بن عمر أقيت

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 143.

[2] نفسه، ص 143.

[3] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 215.

[4] السعدي، المصدر السابق، ص 36.

[5] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 143.

[6] محمد مولاي، المرجع السابق، 143.

[7] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 143.

(866-929هـ/1460-1522م) ومحمود بن عمر أقيت (868-955هـ/1463-1548م)، هي كريمة الفقيه أندغ محمد الكبير، وبذلك فإن آل أندغ محمد الكبير هم أخوال أبناء الفقيه عمر بن محمد أقيت الثلاثة، والذين لعبوا هم وأنجالهم وأحفادهم وأسباطهم أدوارا مهمة في حياة بلاد السودان الغربي الثقافية والأدبية والعلمية[1].

ويذكر أحمد بابا في كفاية المحتاج لما يتحدث عن جده أندغ محمد الكبير:" هو أول من خدم العلم من أجدادنا فيما أعلم، وهو جدي لأمي، أبو أم جدي..."[2].

ولما دخل سني علي تنكبت سنة 873هـ/1468م، قام بالتنكيل بعلمائها وفقهائها فخرجوا إلى ولاتة وكان منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت وأبناؤه الثلاثة أحمد وعبد الله ومحمود، ومشى فيهم خالهم الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد الكبير[3]، الذي قام بتعليمهم على الدراسات الإسلامية وفتح لهم الأبواب التي مكنتهم بعد ذلك من أن يصبحوا في موضع المنافسة في العلم والرياسة، وظلوا في ولاتة حتى وفاة عمر بن محمد بن عمر أقيت عام 885هـ/1480م[4].

وفي هذه السنة عاد أحمد ومحمود إلى تنكبت مع خالهما المختار النحوي بعد ذهاب دولة سني علي، وطلب محمود من أخيه عبد الله أن يلحق بهم لكنه رفض بحجة أن أهل سنكري قاطعون للأرحام ، وأنه لا يسكن حيث ذرية سني علي فبقي بولاتة حتى وفاته[5].

ويعتبر هؤلاء الأولاد الثلاثة أبناء عمر بن محمد أقيت الجيل الأول لعائلة آل أقيت التي ترأست المكانة

[1] أحمد سعد غيث مطير، الإسهامات الثقافية، المرجع السابق، ص 02.

[2] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 281.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 65.

[4] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 144.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 69.

العلمية والفقهية في تنكبت وبلاد السودان الغربي، وقد خلّفوا أجيال من العلماء[1].

أما أحمد الذي لُقِّب بالحاج أحمد هو الفرع البِكر لهذه العائلة فكان له ثلاث أولاد هم: أبو حفص عمر (ت1006هـ/1597م) والثاني أحمد وهو والد أحمد بابا (ت991هـ/1583م) والابن الثالث هو أبو بكر الذي استقر هو وأسرته في المدينة المنورة عام 991هـ/1583م[2].

أما الفرع الأصغر من هذه العائلة فكان زعيمهم هو محمود بن عمر بن محمد أقيت، كان له خمسة أولاد هم: القاضي محمد، والقاضي العاقب، والقاضي عمر، والفقيه عبد الله، والفقيه أبو زيد عبد الرحمان[3].

وهذه هي أهم فروع عائلة أقيت الرئيسية وأهم أجدادهم، وقد تخرج من هذه العائلة عدد من الأئمة والعلماء والقضاة والمعلمين الذين توارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب مائتي سنة[4].

وفي رحلة علمية للباحث أحمد سعد مطير غيث إلى تنكبت يذكر أنه التقى بإمام لمسجد سنكري اسمه عبد الرحمان بن العاقب أقيت، وأفاد هذا الأخير لسعد أنه سليل أسرة آل أقيت التنبكتية وأن جده الأعلى هو القاضي العاقب بن محمود أقيت[5].

[1] الشمراني أمل صالح غضبان، القضاء في المجتمع التنبكتي خلال القرن 10-11هـ/16-17م، مجلة عصور، ع 32_33، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2017، ص 375.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 144.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 33.

[4] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 144.

[5] أحمد سعد مطير غيث، تنبكت: نشأتها وأهم مراكز العبادة فيها حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر ميلادي، مجلة جامعة الزيتونة، ع3، 2012، ص 114.

أعلام العائلة:

العلماء الذين انحدروا من نسل الفقيه محمد أقيت بن عمر يُعتبرون من أعظم العلماء الذين لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في تنكبت ويُمثلون العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافية في السودان الغربي كله[1].

وهؤلاء الأعلام هم:

– **عمر بن محمد أقيت بن عمر**: بن علي بن يحي الصنهاجي الماسني التنبكتي، والد جد أحمد بابا التنبكتي كان فقيها عالما صالحا قرأ عليه الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابري مؤلف بستان الفوائد، رحل إلى ولاتة لما دخل سني علي إلى تنكبت عام 837هـ، رحل مع أولاده الحاج أحمد وهو أكبرهم والفقيه عبد الله والفقيه محمود وهو أصغرهم، بقي بولاتة حتى توفي فيها رحمه الله تعالى[2]، كان حيا حوالي بداية الثلث الثاني من القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي[3].

وهو الذي صاهر أندغ محمد الكبير بزواجه بابنته أم أولاده الثلاثة المذكورين.

أبناء عمر بن محمد أقيت بن عمر:

– **أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت (864-943هـ/1459_1537م)**: هو أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي التكروري التنبكتي، جد أحمد بابا والد والده يعرف بالحاج أحمد[4]، من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين[5]، أكبر الإخوة الثلاثة المعروفين في قطرهم بالعلم والدين، كان رحمه الله خيّرا فاضلا صالحا متورعا محافظا على السنة والمروءة والصيانة والتحري، محبا للنبي صلى الله عليه وسلم

---

[1] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 214.

[2] البرتلي، المصدر السابق، ص 177. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 281.

[3] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 216.

[4] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 132.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 31.

وصحبه، أخذ العلم عن جده لأمه أندغ محمد الكبير وخاله المختار النحوي، كان قاضي تنكبت وولاتة، حجّ عام 890هـ ولقي عدة علماء وعاد زمن حكم سني علي وجلس للتعليم فأخذ عنه جماعة من العلماء منهم أخوه الفقيه محمود بن عمر، طُلِب للإمامة بالناس في الجامع فأبى، بقي دؤوبا ومجتهدا في تعليم العلم وتحصيله حتى توفي ليلة الجمعة من ربيع الثاني عام 942هـ/1535م عن عمر يناهز ثمانين سنة[1].

– **عبد الله بن عمر بن محمد أقيت (866-929هـ/1460-1522م)**: هو عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي شقيق الحاج أحمد المتقدم ذكره، الفقيه الحافظ الزاهد الورع الولي، مولده سنة 866هـ[2]، كان من الفقهاء الحفاظ الذين قاموا بالتدريس في تنكبت ونشروا الثقافة الإسلامية في ربوعها، ودرّس أيضا بولاتة[3] وبقي بها في قرية تازخت حتى توفي بها سنة 929هـ، ووصّى أن لا يغسله أحد إلّا أحد تلاميذه[4].

– **محمود بن عمر بن محمد أقيت (868-955هـ/1463/1548م)**: شيخ الإسلام أبو البركات ولي الله تعالى[5]، الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحي الصنهاجي المسوفي قاضي تنكبت أبو الثناء وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وإمامها بلا مدافع[6]، القاضي القاضي العادل الإمام الفاضل القدوة العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم مع صلاح ودين متين[7]، وُلِّي

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 137_138. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 2، ص 133. البرتلي، المصدر السابق، ص 27. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، ط 1، ج 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص 402.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 235.

[3] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 219.

[4] السعدي، المصدر السابق، ص 30.

[5] نفسه، ص 33.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 607.

[7] محمد مخلوف، المصدر السابق، ج1 ، ص 402.

القضاء عام 904هـ فسدّد في الأمور وشدد فاشتهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته[1]، حجّ عام 915هـ ولقي إبراهيم المقدسي والشيخ القلقشندي وغيرهم ثم رجع لبلاده، طال عمره حتى ألحق الأبناء بالآباء حتى توفي ليلة الجمعة السادس عشر رمضان عام 955هـ[2].

أخذ عنه أولاده الثلاث القضاة محمد وعمر والعاقب، ووالد أحمد بابا وجماعة آخرين[3]، ويعد القاضي محمود من أبرز علماء أسرة أقيت وأكثرهم تأثيرا في مدارس تنكبت في عهد الأسقيا الحاج محمد[4].

أبناء أحمد بن عمر بن محمد أقيت:

– **أبو حفص عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت:** (عم أحمد بابا): النحوي المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم صباحا ومساءا، المُسرد لكتاب الشفا في كل يوم رمضان في مسجد سنكري، الواصل لرحمه المتعاهد لأقاربه، يتفقدهم في صحتهم ويعودهم في مرضهم، المُنشر وجهه للخاصة والعامة، توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الثاني عام 1006هـ/1597م في مدينة مراكش[5].

– **أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (932-991هـ/1525-1583م)**: (عم أحمد بابا): المعروف بأبكر بير، العالم الزاهد المتصدق المنفق على الأيتام والتلاميذ[6]، تنبكتي المولد ولد عام 932هـ/1525م، نزيل المدينة الشريفة، حجّ وجاور ثم رجع لبلاده فبقي نحو أربعة أشهر ثم رحل بأولاده وعياله للمدينة المشرفة فجاور هناك حتى وفاته عام 991هـ/1583م[7].

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 245.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 607.

[3] محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 402.

[4] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 222.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 31. البرتلي، المصدر السابق، ص 178.

[6] السعدي، نفسه، ص 32.

[7] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 151. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 181. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 414.

– **أبو العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (929-991هـ/1522-1583م)**: (والد أحمد بابا): العالم الجميل الفصيح الذي كمل الله له أنواع الجمال كلها خلقا ولونا وصوتا وخطا وفصاحة، البارع في علم الأدب والفقه والحديث، المادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، المُحبب إلى جميع الخلق العزيز عندهم[1]، كان علامة فهاما ذكيا دراكا محصلا متفننا محدثا أصوليا بيانيا منطقيا مشاركا، درس على يد عمه محمود بن عمر أقيت، شرّق سنة 956هـ حجّ ولقي جماعة من الفقهاء أمثال الناصر اللقاني والشيخ التاجور وغيرهم، وبمكة وطيبة التقى بأمين الدين الميموني وعبد العزيز اللمطي وغيرهم من العلماء وأجازه بعضهم، ثم رجع لبلاده وأخذ عنه جماعة منهم محمد وأخوه أحمد ابنا الفقيه محمود بغيغ، كما درس عنده ابنه أحمد بابا وأجازه جميع ما يجوز له وعنه، ولد في الفاتح محرم عام 929هـ، وتوفي ليلة السابع والعشرين من شعبان عام 991هـ[2].

أبناء محمود بن عمر بن محمد أقيت:

– **أبو عبد الله محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (909-973هـ/1503-1565م)**: القاضي محمد كان عالما جليلا فهاما ذكيا وليس له نظير في عمره في الفهم والذهاءة والعقل، ساعدته الدنيا وما أصبح في ليلة ولادته إلا وألف مثقال ذهبا في ملكه من ضيافة الرجال الذين فرحوا بولادته لأنه أول مولود ذكر لأبي البركات الفقيه محمود، تولى القضاء بعد أبيه، توفي سنة 973هـ/1565م[3].

– **العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (913-991هـ/1507-1583م)**: كان عالما جليلا ثاقب الذهن قوي القلب، صلب في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ذا فراسة، اشتهر بالعدل لما تولى

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص ص 32_33.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 141_142. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 1، ص ص 137_139. البرتلي، المصدر السابق، ص ص 29-30.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص ص 32_33.

القضاء[1]، لم يكن يهاب الحكام وكانوا يخضعون له في كل ما أراد، تتلمذ عند أبيه وعمه[2]، كانت له إصلاحات في تنكبت منها: قيامه ببناء المساجد وترميمها وإصلاحها كالمسجد الكبير ومسجد سنكري[3]، رحل إلى المشرق ولقي في طريقه الشيخ عبد السلام الأسمر وأخذ عنه التلقين وأجازه الناصر اللقاني والتاجوري إجازة عامة، وهو أجاز أحمد بابا بمثل ذلك، توفي رحمه الله يوم في الحادي عشر رجب عام 991هـ[4].

– **أبو حفص عمر بن محمود بن محمد أقيت** (ت**1003**هـ/**1597**م): القاضي عمر أخذ العلم عن أبيه محمود، برع في علم الحديث والتاريخ وأيام الناس وبلغ الغاية القصوى في الفقه[5]، توفي رحمه الله ليلة الجمعة الفاتح محرم سنة 1003هـ/1594م في مراكش[6].

– **عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد أقيت** (ت**1006**هـ/**1597**م): أبو محمد عبد الله بن محمود عالم فقيه مدرس مُتَقلل من الدنيا مع ما بسط الله تعالى له فيها من الرزق حتى كاد أن لا يعرف نهايته[7]، توفي بعد امتحانه وإجلائه مع أهل بيته إلى مراكش أول يوم من شعبان عام 1006هـ/1597م[8].

عبد الرحمان بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت**1006**هـ/**1597**م): أبو زيد عبد الرحمان الشيخ الصالح الولي الناصح العرف بالله تعالى، العابد الزاهد الورع الواعظ، كان فقيها عالما معرضا عن الدنيا بحيث لم يقبلها ولو في لحظة واحدة، له مكاشفات وكرامات ومن ما يُحكى عنه أنه في سنة 999هـ جلس في

---

[1] السعدي، المصدر السابق ، ص 34.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 353. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 1، ص 377.

[3] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 174.

[4] محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 414.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 212.

[6] البرتلي، المصدر السابق، ص 178.

[7] السعدي، المصدر السابق، ص 34.

[8] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 236.

مدرسته بعد صلاة الظهر وقال ستسمعون في هذا ما لم تسمعوا بمثله قط، وبعد أشهر من ذلك شهدت تنكبت الغزو السعدي، توفي رحمه الله يوم الخميس من صفر عام 1006هـ/1597م بمراكش[1].

أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت (931-976هـ/1524-1568م): العالم الولي الصالح المشهور بالعلم في زمنه، حضر مجلسه جماعة كثيرة من شيوخ العلم للأخذ عنه منهم: عمر بن محمود، محمد بغيغ وأخوه أحمد بغيغ محمود كعت وغيرهم من شهدوا له بالعلم والسيادة والورع والصلاح[2]، كان عالما بالفقه مطلعا عليه حافظا مدرسا تتلمذ على يد جده لأمه محمود بن عمر، وحضر لدروسه أحمد بابا في صغره[3]، توفي رحمه الله يوم الأربعاء 28 محرم عام 976هـ/1568م ودُفن بجوار جده محمود[4].

آخر ترجمة نوردها هي لأكثر علماء تنكبت تأثيرا في الحركة العلمية والثقافة الإسلامية في السودان الغربي، وهو أكثر أفراد عائلة أقيت شهرة في العالم الإسلامي هو: أحمد بابا التنبكتي.

- **أحمد بابا التنبكتي (963-1036هـ/1556-1627م)**: هو أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن علي بن يحي بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف بن يحي بن تشت بن تنفر بن حيراي بن النجر بن نصر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي المسوفي الماسني التكروري التنبكتي المالكي المدعو بابا[5].

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص ص 34، 214.

[2] نفسه، ص ص 34_35.

[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 1، ص 139. البرتلي، المصدر السابق، ص 28. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 412.

[4] السعدي، المصدر السابق، ص 108.

[5] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 13. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 2، ص 281. البرتلي، المصدر السابق، ص 31. أبو العباس الناصري، المصدر السابق، ج 5، ص 129. أحمد المقَّري، المصدر السابق، ص 312. العباس بن إبراهيم السملالي (ت 1378هـ/1958م)، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، ج 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1933، ص 302.

الإمام الشهير العالم المحقق الكبير أبو العباس سيدي أحمد المدعو بابا السوداني، إمام جليل كبير الشأن أحد الأعلام[1]، يصفه تلميذه أحمد المقّري بالمؤلف الكبير المصنف العلم الطائر[2]، ويذكره السعدي فيقول:" الفقيه العلامة فريد دهره ووحيد عصره البارع في كل فن من فنون العلم أبو العباس أحمد بابا، جدّ واجتهد في بداية أمره بخدمة العلم حتى برع جميع معاصريه وفاق عليهم جدا ولا يناظر في العلم إلا أشياخه، وفي الغرب اشتهر أمره وانتشر ذكره وسلم له علماء الأمصار في الفتوى[3].

وأورد ترجمته صاحب شجرة النور الزكية بقوله:" الفقيه العلامة المحقق الفهامة المؤرخ التقي الفاضل الإمام المؤلف المحقق العالم العامل الثقة الأمين"[4]، بيته بيت علم وصلاح فشا فيهم العلم ونشأ هو على ذلك[5].

ولد في الحادي والعشرين من ذي الحجة عام 963هـ/1556م، كما وجده بخط والده[6]، ينحدر من أسرة آل أقيت المسوفية الصنهاجية أصلا والتنبكتية موطنا التي كان أبناؤها العلماء يتوارثون العلم والقضاء والمناصب الرفيعة في السودان الغربي[7].

تلقى تعليمه في البيئة السودانية التكرورية على يد والده الذب أخذ عنه الحديث سماعا والمنطق، وأخذ النحو عن عمه أبي بكر بن محمد أقيت وقرأ على القاضي العاقب بن محمود بن عمر وأجازه، كما أجازه عدة علماء في مكة المكرمة، وأبرز أساتذته وأكثرهم تأثيرا في حياته شيخه محمد بغيغ الذي لازمه عدة سنوات قرأ عليه علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان والتصوف والمنطق والعروض وغيرها

---

[1] محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، ج1، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977، ص 271.

[2] أحمد المقَّري، المصدر السابق، ص 303.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 35.

[4] محمد مخلوف، المصدر السابق، ج 1، ص 432.

[5] البرتلي، المصدر السابق، ص 31.

[6] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج 2، ص 285.

[7] آمنة محمود الذيابات، أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابة نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج مج 3، ع 2، 2016، ص 419.

من أمهات الكتب[1]، ويبدو أن أسرته العلمية من آل أقيت وبيئته الثقافية في تنكبت ساهمت في تكوينه ونضجه العلمي[2].

امتُحن رحمه الله تعالى في طائفة من أهله بثقافتهم في بلدهم في محرم عام 1002هـ على يد محمود زرقون لما استولى على بلادهم وجاء بهم أسارى في القيود فوصلوا مراكش واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف، إلى أن انصرم أمد المحنة فسُرِّحوا يوم الأحد الحادي والعشرين من رمضان عام 1004هـ[3].

وفي تنكبت قضى أحمد بابا العشرين سنة الأخيرة من حياته في التعليم حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى يوم الخميس السادس من شعبان سنة 1036هـ/1627م[4]، وكان له سبط ذكره المقّري اسمه محمد برع في العلوم توفي بعد سفره من مراكش[5].

هؤلاء هم أبرز أعلام آل أقيت الذين كان لهم الدور البارز في الحركة العلمية في تنكبت سواءا من حيث التأليف أو التدريس، إضافة إلى الأدوار السياسية التي لعبوها أثناء تعاقب الدول الحاكمة على تنكبت، كما هناك شخصيات أخرى من العائلة لم نوردها لعدم قيامهم بدور كبير يستحق الإشارة إليه، إضافة على توفر المادة العلمية حولهم في المصادر السودانية باستثناء إشارات فقط.

[1] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 14.

[2] آمنة محمود الذيابات، المرجع السابق، ص 461.

[3] البرتلي، المصدر السابق، ص 34. محمد القادري، المصدر السابق، ص 272.

[4] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 272.

[5] أحمد المقَّري، المصدر السابق، ص 314.

المبحث الثاني: علاقة آل أقيت بالسلطة الحاكمة

نظرا للمكانة والوضع والنفوذ والتأثير الذي كان لعائلة أقيت، كان من الطبيعي أن يرتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة سواءا علاقة عدائية أو علاقة سلمية[1].

العلاقات العدائية:

- مع سلطة الطوارق:

أورد السعدي أنه كانت هناك عداوة كبيرة بين الجد الأكبر محمد أقيت مع سلطان الطوارق "آكل أجموال"، حيث لما عاد الطوارق لاحتلال تنكبت أواخر أيام مملكة مالي عارض محمد أقيت زعيم الطوارق فحاربه وضربه بالسيف والرمح حتى اخترق درعه، وخرج من المدينة وسكن ولاتة مع أولاده، ولما رغب بالعودة إليها رفض "آكل" ذلك لأنه لم ينس تلك الفعلة والعداوة حتى تدخل أندغ محمد الكبير قاضي المدينة الذي كان له نفوذ كبير لدى السلطان، وبقي يلاطفه بالقول اللين الحسن وأخبره بأن محمد أقيت أصبح شيخا ذا عيال لا يريد إلا العافية، حتى زالت تلك العداوة وأذن له بالمجيء إلى تنكبت، فارتحل مع عياله إلى المدينة وسكن فيها[2].

- مع سني علي:

لما دخل سني علي مدينة تنكبت سنة 873هـ/1468م تسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال، وعمل فيها فسادا عظيما وأحرقها وقتل فيها خلقا كثيرا، وبسبب هذه التصرفات قرّر فقهاء تنكبت الرحيل إلى ولاتة وكان منهم الفقيه عمر بن محمد أقيت وأولاده الثلاثة عبد الله وأحمد ومحمود وخالهم المختار النحوي، فقام سني علي بسجن زوجة عمر بن محمد أقيت والدة محمود، وقتل أخويها

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 169.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 36.

محمود وأحمد ابني أندغ محمد الكبير اللذان هما أخوال محمود بن عمر أقيت، كما قام بقتل ثلاثين من بناتهن الأبكار في مكان سمي فناء قدر الأبكار[1].

ويمكن اعتبار مرحلة حكم سني علي بمثابة المحنة الأولى لأسرة آل أقيت، وسبق أن ذكرنا رفض عبد الله بن عمر شقيق محمود العودة إلى تنكبت بحجة أنه لا يسكن حيث ذرية سني علي، هذا يبين شدة العداء التي كانوا يكنوها لهذا الحاكم.

العلاقات السلمية:

- مع الأسقيين:

أما في عهد الأسقيين فكانت لأسرة آل أقيت مواقف مخالفة فقد كانت علاقة هذه العائلة بالسلطة قوية، فكانت لهم مواقف مع السلطة تبرهن على تحديهم لسلطة الحكام إراداتهم، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لكي يسعوا إلى تحقيق مشروعهم السياسي والديني الذي لا يقوم إلا على أساس هؤلاء العلماء، وقد وضع الأسقيا الحاج محمد قواعد هذا المشروع وتعامل مع الحركة الإسلامية في بلاده بذكاء شديد، فسعى إلى التقرب العلماء وصاحب الفقهاء وقلدهم جميع الأمور وأعلى من مقامهم ورفع قدرهم، لأنهم هم وحدهم الذين يستطيعون التأثير على المسلمين في جميع المناطق وهو الأمر الذي يحتاجه الأسقيا[2].

وعُرِف عن الأسقيا الحاج محمد بأنه محب للعلم والعلماء، حيث أمر بأن لا ينادي رسله إلا القضاة، ولا يجلس معه على سريره إلّا الشرفاء، كما أمر بأن لا يقف لأحد إلا للعلماء والحجاج، ولا يأكل معه إلا العلماء وأولادهم[3]، فقد كانت سياسته مع العلماء والقضاة تتلخص في الإحسان إليهم بكثرة العطاء وجعل

[1] السعدي، المصدر السابق ، ص ص 64_66.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 171.

[3] محمود كعت،المصدر السابق، ص 92.

ذلك قاعدة لمن يأتون بعده أن يحترموهم ويحسنوا إليهم وإلى أهاليهم، فقد اقتضت المصلحة بأن يكون هناك تحالف بين الطرفين[1].

ويورد صاحب الفتاش موقفا للقاضي محمود حيث قام بطرد رُسل الأسقيا، والحوار الذي دار بينه وبين الأسقيا محمد الذي يدل على قوة سلطة القاضي محمود في مدينة تنكبت، وانتهى الحوار بتقبيل الأسقيا محمد لِيَدَي القاضي محمود وودّعه ودعا له بطول البقاء[2].

ومن المواقف التي تبين قوة العلاقة بين أسرة أقيت والأسقيا الحاج محمد، أنه لما حجّ الفقيه محمود بن عمر سنة 915هـ/1509م استخلف في الإمامة خاله المختار النحوي وفي القضاء الفقيه عبد الرحمان بن عمر، وبِرُوجعه إلى تنكبت تسلم الإمامة من خاله أما القضاء لم يسلمه له عبد الرحمان الذي بقي فيه لسنوات حتى وقعت نازلة في مجلسه وحكم فيها فسمع القاضي محمود بها وأرسل إليه يَنقض ذلك الحكم لمخالفته نص الكتاب والسنة والإجماع، فوصل الخبر لأسقيا محمد فأرسل رسله ليردوا حكم القضاء للقاضي محمود ويعزلوا عبد الرحمان، ولما وصل الرسول بلّغهم بأمر الأسقيا "بأن يسلم القضاء لمحمود لأنه نائبه وإذا حضر المنيب فالنائب معزول مبطول، مع أنك لا تستحق القضاء ما دام محمود بين أظهركم حيا"، ولاموه بسوء أدبه لعدم تسليم القضاء إليه حين أتى وعزلوه[3].

كما أورد السعدي موقفا يبرهن على قوة سلطة هذه العائلة لما قام الأسقيا موسى بعزل أبيه الحاج محمد، سار بجيشه إلى تنكبت ولما قرب منها لقيه القاضي محمود بن عمر لكي يصلح بينه وبين إخوته، فلما جلس عنده استدبر محمود بن عمر لكي يصلح بينه وبين إخوته، فلما جلس عنده استدبر محمود ولم يقابل

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 171.
[2] محمود كعت، المصدر السابق، ص ص 161_162.
[3] نفسه، ص 177. السعدي، المصدر السابق، ص 76.

الأسقيا بوجهه فتساءل الأسقيا عن هذا العمل، فقال له محمود أنه لا يستقبل وجها خلع أمير المؤمنين من إمرته[1].

وفي عهد الأسقيا داوود سعى أشخاص بالنميمة بينه وبين القاضي العاقب فقوّلوه ما لم يقل، فأجابه القاضي بأجوبة لا يصبر عليها إلا الأسقيا داوود، فلما قام الأسقيا بزيارة العاقب في بيته لم يأذن له بالدخول وتركه مدة طويلة واقفا على بابه، وما استأذن له بالدخول إلا بشفاعة من علماء وشيوخ تنكبت، فدخل عليه متواضعا متذللا وقام بتقبيل رأسه وجلس بجانبه يسترضيه، وبعد إباية وامتناع توافقا واصطلحا، وأصبح بعدها الأسقيا داوود كلما يدخل تنكبت يزور القاضي العاقب في بيته ويأكلون ويشربون من صنع القاضي تبركا به[2].

واستمرت مهابة السلاطين لأفراد هذه الأسرة إلى غاية نهاية دولتهم بعد الغزو السعدي للبلاد.

وكان لعلماء آل أقيت مواقف خاصة في الأزمات التي تعرضت لها صنغي، وبخاصة في أواخر عهد الأساكي فعندما تعرضت البلاد إلى الحملة المغربية وبسبب مواقفهم المؤثرة داخل المجتمع أرسل المنصور السعدي مع جودر باشا عام 998هـ/1589م عندما دخل تنكبت رسالة إلى قاضيها الإمام أبي حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت، يبرر له أسباب الحملة وأن يحض الناس على الدخول في الطاعة ولزوم الجماعة، لان هذا لا يحدث إلا بمساعدة الفقهاء[3].

وفي بداية حكم المغاربة حدثت الفتنة بين أهل تنكبت وبين القائد المغربي، فتدخل القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت وطلب الشفاعة من القائد المغربي لمجموعة من أهل تنكبت، وانتهى الأمر بقبول القائد شفاعته لعظم قدره وعُقد الصلح مع أهل تنكبت[4].

---

[1] السعدي، المصدر السابق ، ص 76.
[2] محمود كعت، المصدر السابق، ص ص 220_221.
[3] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 157.
[4] نفسه، ص 157.

هكذا كانت علاقة عائلة أقيت بالحكام المتعاقبين على تنكبت إلى غاية الغزو السعدي، اتسمت تارة بالعداء وهذا ما لاحظناه أثناء حكم سني علي، وتارة أخرى بالسلمية خاصة في عهد دولة صنغاي وحكامها الأسقيين الذين بجّلوا العلماء والفقهاء خاصة من آل أقيت حيث منحوهم حرية التصرف في مدينة تنكبت، وتميزت علاقتهم بالحكام السعديين بالسلمية لمّا لما يكون تصرف الباشاوات لائقا، وأحيانا أخرى تكون عدائية حتى يقابلوا التصرف الهمجي من الجيش السعدي.

المبحث الثالث: محنة العائلة خلال الغزو السعدي

تعتبر قضية ترحيل علماء آل أقيت من بلاد السودان إلى المغرب الأقصى من الأحداث التاريخية التي لاقت اهتمام العديد من الباحثين، حيث تطرقوا إلى الظروف القاسية التي نُقِلوا بها إلى مراكش، وما قاسوه من شدائد لدى اجتيازهم الصحراء قبل وصولهم، ويعتبر هذا الترحيل أكبر محنة عاشتها العائلة بعد المحنة الأولى على يد سني علي، فقد توفي جُل علماء العائلة بمراكش ولم يكتب لهم الرجوع لبلادهم باستثناء القلة منهم أحمد بابا التنبكتي.

كان بنو أقيت ممن لهم الوجاهة والرياسة والشهرة ببلاد السودان دينا وجنيا، ولما دخل الجيش المغربي إلى تنكبت وجدهم على هذه الحالة، ولم يمض حكم المغاربة طويلا حتى كان أهل السودان قد سئموا حكمهم، ورأوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلاطينهم السابقين، وكانت آذانهم مع ذلك صاغية لآل أقيت فتخوف المنصور الذهبي منهم فكتب إلى عامله محمود بن زرقون بالقبض عليهم وتغريبهم إلى مراكش[1].

لقد أنزل الحكم المغربي ضربة مؤلمة بفئة محصورة ومحدودة من علماء تنكبت شملت عائلة أقيت الصنهاجية التي كان لرجالها سطوة ونفوذ في المجتمع السوداني، والتي اتهمت بخلق المتاعب للجيش المغربي، وقد أُعدِم بعض العلماء والشرفاء مع أتباعهم ونقل أقل من مائة منهم إلى مراكش مصفدين بالسلاسل، وجُمعت الكتب والتحف والودائع التي كانت تحويها دور أولئك العلماء ووُجهت إلى مراكش أيضا[2].

لم يكن أهل تنكبت ينظرون إلى الغزاة بعين الرضا والقبول، فثاروا عليهم عدة مرات وكان بسبب ذلك خراب تنكبت، ففي سنة 1000هـ/1591م جرى قتال بين أهل تنكبت والقائد مصطفى التركي عامل السعديين، فأدى إلى هلاك الناس واحتراق الدور، وتكرر ذلك في عدة مناسبات كما حدث سنة 1005هـ/1596م، ولم يستتب الأمر للسعديين في التكرور لكثرة الثورات عليهم من الطوارق وقبائل

[1] أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 129.
[2] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 519.

صنهاجة والسودانيين، ثم توالى ولاة السعديين على بلاد السودان وأكرهوا الناس على بيعتهم، فهددوهم وشتتوا دورهم[1].

وبعد أن ظهر للعامة مظالم القواد المغاربة أخذ أفراد أسرة أقيت ومجموعة من الشيوخ تُحرض الأهالي ضد السعديين ويحرضونهم على الثورة والعصيان[2]، وكان العلماء وعلى رأسهم القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت يدركون أنهم سيعاقبون كما عوقب أجدادهم من طرف سني علي، فصدرت أوامر للقائد مصطفى التركي للقيام بذلك العمل، وكانت التعليمات تقضي بإلقاء القبض على سبطي أحمد الصّقلي أولا، فاقتادهم إلى سوق تنكبت وأصدر الأمر بقطع أيديهما وأرجلهما بالفأس وتركهما على تلك الحالة حتى الموت، وذلك يوم التاسع محرم عام 1001هـ[3].

بعد هذه الحادثة أدرك أبو حفص عمر بأن دورهم آت لا محالة، فقام بإرسال ابن أخيه القاضي محمد مع مجموعة من الفقهاء ليطلب العفو من المنصور السعدي مما صدر منهم مع القائد مصطفى التركي، وأنهم في طاعة الله ورسوله وفي طاعته، فلما وصلوا بلّغوه كتاب القاضي واعتذروا منه فقبل اعتذارهم وأكرمهم عاما كاملا[4].

ولما عاد الباشا محمود بن زرقون شرع في تنفيذ أوامر السلطان السعدي لنكبة علماء تنكبت وعلماء آل أقيت خاصة، فقام بتكليف منادي ليعلن أن منازل ومخازن تنكبت ستخضع للتفتيش باستثناء ديار آل أقيت، فمن وجدوا في حوزته أسلحة سيتعرض للعقوبة، فقام الناس بتهريب أموالهم وأسلحتهم إلى ديار آل أقيت[5].

---

[1] آمنة محمود الذيابات، المرجع السابق، ص 417.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 172.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 166. محمد الغربي، المرجع السابق، ص ص 325_326.

[4] السعدي، نفسه، ص 167.

[5] نفسه، ص 168.

ثم أصدر منشورا آخر بأن يجتمع الناس كلهم في جامع سنكري لتجديد البيعة للسلطان أحمد المنصور، فقام بتقسيمهم إلى ثلاث دفعات للبيعة في ثلاث أيام، فخصص اليومين الأولين للجاليات من القبائل المقيمة في تنكبت فبايعوا وحلفوا وتركهم[1].

أما الفريق الثالث فهم العلماء والفقهاء، فأحضروهم في اليوم الثالث 24 محرم 1002هـ/1593م وأحضروا المصحف والبخاري ومسلم، فلما اجتمعوا أغلقوا عليهم أبواب الجامع ووقف الرماة على الأبواب والسطوح، وأخرجوا الناس وقاموا بالقبض على الفقهاء وأصحابهم وأتباعهم، وقسمهم إلى مجموعتين، فريق ذهب به إلى وسط المدينة، وذهب بالفريق الآخر إلى خارج البلد من جهة القبلة، قُتِل منهم في الطريق أربعة عشر رجلا كان منهم الفقيه الزاهد محمد الأمين بن القاضي محمد بن محمود بن عمر أقيت[2].

ثم اقتحم الباشا محمود ديارهم واستولى على جميع ما لديهم من الأموال والمتاع، ونهبوا وكشفوا عوراتهم وجردوا حرائرهم وفعلوا بِهن الفواحش وذهبوا بِهن إلى السجن مع الرجال وسُجنوا لستة أشهر وأفسد الباشا محمود جميع الأموال وتكرم بها للرماة[3].

وفي يوم السبت 25 جمادى الثانية 1002هـ[4]/ 18 مارس 1594م[5]، شرع الباشا محمود في إرسال الفقهاء إلى تنكبت، فخرجت أول دفعة منهم وطائفة من أولادهم وحفائدهم ونسائهم ومكتباتهم[6].

ويصف محمود كعت حالة المدينة بعد إجلاء العلماء فيقول:" ولما أجلاهم القوم وارتحلوا صارت تنكبت جسما بلا روح، وانعكست أمورها وتغير حالها وتبدل عوائدها، ورجع أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها، وساد أرذالها على عظمائها، وباعوا الدين بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى، وعُطِّلت أحكام الشريعة، وأميتت

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 169. محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص ص 324_325.

[2] السعدي، نفسه، ص 169. محمود كعت، المصدر السابق، ص 289.

[3] السعدي، نفسه، ص 171. سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 173.

[4] السعدي، نفسه، ص 173.

[5] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 328.

[6] السعدي، المصدر السابق، ص 173. محمود كعت، المصدر السابق، ص 290.

السنة وأحييت البدع، ولا بقي فيها من يتمسك بالسنة، ولا من يسير على منهج التقوى في ذلك الوقت..."[1].

وفي أثناء طريقهم إلى مراكش تعرض علماء آل أقيت إلى إهانة في المعاملة[2]، ومرض أبو حفص عمر بن محمود أثناء السفر مرضا شديدا وأصبح لا يستطيع الركوب، وطلبوا من قائد القافلة أن يتوقفوا حتى يرتاح لكنه رفض إما أن تتركوه أو تحملوه حتى يدركه الموت فنطرحه، وبعدها بأقل من ميل واحد وصلوا مكان به حجارات كثيرة لا تستطيع الخيول صعودها، فتقدم القائد فتزلف حافر فرسه فسقط، وسقط هو على عنقه فاندقّت بقدرة الله ومات، فتوقفت القافلة وفرج الله على عمر وأصبح معافى، ومكثوا هناك يومين ثم ساروا[3].

كما سقط أحمد بابا التنبكتي عن ظهر جمل فكُسرت ساقه[4]، وفقد في هذه النكبة ألف وستمائة مجلد[5].

مجلد[5].

ولما وصلوا مراكش في أول رمضان عام 1002هـ دعا الفقيه أبو حفص عمر فقال:" اللهم كما شوشونا وأخرجونا من بلادنا فشوشهم وأخرجهم من بلادهم"، فاستجاب الله دعاءه عليهم فكان دخولهم مراكش فتح أبواب البلاء فيه[6].

فقام أحمد المنصور بإيداعهم السجن ولم يطلق سراحهم إلا في 21 رمضان 1004هـ/1596م بشرط بقائهم في مراكش[7].

[1] محمود كعت، المصدر السابق، ص 290.
[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 173.
[3] محمود كعت، المصدر السابق، ص ص 290_291.
[4] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 15.
[5] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 149.
[6] السعدي، المصدر السابق، ص 173.
[7] آمنة محمود ذيابات، المرجع السابق، ص 418.

وبعد تسريحه من السجن دخل أحمد بابا على السلطان السعدي فوجده يُكلم الناس من وراء حجاب، وبينه وبينهم كلة مسدودة على طريقة خلفاء بني العباس ومن يتشبه بهم، فحدثت بينهما مجادلة، فقام أحمد بابا بتلاوة قول الله تعالى:**< وَمَا كان لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمهُ الله إلا وَحيا أو من وَرَاءِ حِجاب>**[1]، وأضاف: وأنت قد تشبهت برب الأرباب فإن كانت لك حاجة في الكلام فانزل إلينا وارفع عنا الحجاب، فنزل المنصور ورُفِعت الستائر، ولامه أحمد بابا على ترحيلهم وسجنهم فقال:" أي حاجة لك في نهب متاعي وتضييع كتبي وتصفيدي من تنكبت إلى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقي"، فقال له المنصور:" أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم في بلادكم من أعيانها فإن أذعنتم أذعن غيركم"، فقال الفقيه أحمد بابا:" فهلا جمعت الكلمة بتُرك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا"، فرد عليه المنصور:" قال النبي صلى الله عليه وسلم "اتركوا الترك ما تركوكم" فامتثلنا الحديث"، فأجابه الفقيه أحمد:" ذاك زمان، لا تتركوا الترك وغن تركوكم"، فسكت المنصور وانفض المجلس[2].

كما قام أبو حفص عمر بإرسال رسالة للسلطان لما كان يُحتضر ووصلته بعد وفاته وكان فيها:" أنت الظالم وأنا المظلوم وسيلتقي الظالم والمظلوم بين يدي الحاكم العدل غدا"[3].

وبعد وفاة أحمد المنصور الذهبي قام ابنه المولى زيدان بالسماح لآل أقيت في الرجوع إلى بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش، ولما خرج أحمد بابا من مراكش قاصدا تنكبت شيعه أعيان طلبته فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى:**< إن الذي فَرَضَ عليك القرآن لَرادُّك إلى مَعاد >** [4] على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالما، فانتزع أحمد باب يده بسرعة وقال:" لا ردني الله إلى هذا المعاد ولا رجّعني إلى هذه البلاد"[5].

[1] سورة الشورى، الآية 51.

[2] أبو العباس أحمد الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 130.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 212.

[4] سورة القصص، الآية 85.

[5] أحمد الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 131.

ولعل ما هو جدير بالملاحظة هنا أن أخطر ما أصاب الإسلام والمسلمين من تخلف فكري في السودان الغربي، هو بسبب ما لحق بعض الأئمة والقضاة والنخبة المفكرة وطلبة العلم وغيرهم على يد المغاربة، بعد وقت قصير من استيلائهم على صنغاي الذي أدى إلى تهجير بعض أفراد هذه المنطقة إلى المغرب على أسوا الأحوال، إضافة إلى ما وقفت عليه يد الجيش المغربي من كتب وتحف ومتاع وقاموا بنقل بعضها إلى المغرب، كما قاموا بإحراق الجزء الأكبر منها وحُرمت البلاد من كثير مما امتازت به من علوم وثقافة، وقال أحمد بابا:" وقعت علينا محنة وشُتِّت شملنا وذهبت نفائس كتبنا جعلها الله كفارة وتمحيصا"[1].

ويذكر لنا السعدي سجلا بتاريخ وفيات شخصيات من عائلة أقيت في مراكش مرتبة ترتيبا زمنيا، وهم كالآتي:

في شهر محرم عام 1003هـ توفي الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، وفي أواخر شهر ذي القعدة عام 1005هـ توفيت عائشة إِسِر ابنة القاضي العاقب بن محمود، وفي ذي الحجة من نفس العام توفي محمد سيف السنة بن القاضي العاقب، وفي الثالث عشر من هذا الشهر توفي السيد بن عثمان حفيد القاضي محمود، وفي شهر صفر عام 1006هـ توفيت سعيدة أم الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر، وفي نفس الشهر توفي الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن محمود بن عمر أقيت، وفي ربيع الثاني من هذا العام توفي الفقيه عمر بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، وفي شهر شعبان توفي الفقيه عبد الله بن محمود بن عمر بن محمد أقيت[2].

رغم ما قاساه أفراد هذه العائلة خلال هذه المحنة إلا أنها لم تمنعهم من تأدية دور كبير في تنشيط الحركة العلمية بمراكش، فتوافد عليهم طلبة العلم من عدة حواضر ليستفيدوا من علمهم فأجازوا واستجازوا، كما كانت لهم مساهمة فعالة من خلال تأليفهم العديد من الكتب في مختلف العلوم خاصة من طرف الفقيه أحمد بابا التنبكتي.

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 332.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص ص 212_214.

الفصل الثالث:

علماء آل أقيت وإسهاماتهم في الإنتاج الفكري

المبحث الأول: دورهم في العملية التعليمية

المبحث الثاني: ممارستهم للوظائف السياسية والخطط الدينية

المبحث الثالث: مكتبات العائلة وإنتاجهم الفكري

ساهم علماء أسرة أقيت مساهمة فعالة في تنشيط الحركة العلمية في تنكبت، وذلك من خلال الأدوار الرئيسية التي تقلدوها والمسؤوليات التي حملوها على عاتقهم، فقد كانوا روادا في التعليم والتدريس في جوامع تنكبت وفي منازلهم وحتى في مراكش أثناء محنتهم، إضافة إلى توليهم مناصب حساسة في المجتمع التنبكتي تمثلت في القضاء والإمامة، ويبرز دورهم في دفع حركة العلم والثقافة من خلال المكتبات التي امتلكوها والمؤلفات التي ألفوها في علوم مختلفة.

المبحث الأول: دورهم في العملية التعليمية:

شهدت تنكبت حركة تعليمية نشطة حيث توافد عليها العلماء من مختلف البلاد الإسلامية، وكانت جوامعها بمثابة جامعات كالتي في فاس والقيروان وغيرها، وكان لآل أقيت الأثر الواضح والبارز في التعليم والتدريس، حيث توافد عليهم طلاب العلم من مشارق العالم الإسلامي ومغاربه وذاعت شهرتهم، فقد قاموا بتدريس عدة علوم كاللغة العربية والفقه والتفسير وعلوم الحديث، كما فتحوا منازلهم للطلبة وجعلوا منها مجالس علمية، إضافة إلى فتحهم مكتباتهم التي كانت تعج بالمصادر النفيسة.

مصادر تعلم العائلة:

إذا بحثنا عن مصادر تعلم هذه العائلة فسوف نجد أنهم يختلفون عن بقية العائلات العلمية الأخرى من حيث أنهم استقوا العلم من البيئة المحيطة بهم، ثم سعوا بعد ذلك إلى تزويد ثقافتهم عن طريق الرحلات العلمية إلى الشرق وآداء فريضة الحج أو الرحلة إلى المغرب[1].

ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لأسرة أقيت التراث العائلي حيث كان التعليم في عائلة أقيت مسألة عائلية فقد توارثوا العلم بعضهم عن بعض عن طريق آبائهم وأعمامهم وإخوتهم، إضافة إلى حضورهم حلقات الدرس التي كانت تعقد في بلادهم ويعقدها فقهاء من المغرب الإسلامي[2].

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 148.

[2] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 236.

فقد كان المنبع الأول لتعلم هذه العائلة عن طريق جدهم لأمهم الفقيه أندغ محمد الكبير وخالهم المختار النحوي، وقد أثّر هؤلاء على ثقافتهم وتعلمهم، وقام آل أندغ محمد بتوجيه أولاد أختهم إلى الدراسات الإسلامية وكانوا متمسكين بالدين ومتحمسين له ومثقفين وزاهدين، فقد وفروا جوا من العلم والورع عاش فيه أولاد أختهم من آل أقيت[1].

فنجد الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت أخذ العلم عن جده لأمه الفقيه أندغ محمد الكبير، والنحو عن خاله الفقيه المختار النحوي[2]، وشرّق عام 890هـ وحجّ ولقي الجلال السيوطي والشيخ خالد الوقاد الأزهري إمام النحو وغيرهما[3]، ولما عاد إلى تنكبت أخذ عنه أخوه الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت قرأ عليه المدونة وغيرها[4]، وحجّ عام 915هـ وأخذ العلم من عدة علماء وفقهاء[5].

وأخذ الحاج أحمد بن أحمد بن عمر أقيت والد أحمد بابا التنبكتي العلم عن عمه محمود بن عمر وغيره، وأثناء حجه سنة 956هـ أخذ عن جماعة كالناصر اللقاني والشريف يوسف الأصيوطي تلميذ السيوطي وجمال الدين ابن الشيخ زكرياء والشيخ تاجوري، وبمكة وطيبة أخذ عن أمين الدين الميمون وابن حجر المكي وعبد العزيز اللمطي وعبد المعطي السخاوي وعبد القادر الفاكهاني وغيرهم، وأجازه بعضهم ولازم محمد البكري وقيد عنه فوائد ثم رجع لبلاده للتدريس[6]، كما أخذ البيان والمنطق عن محمد ابن محمود بن عمر أقيت[7].

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 148.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 137.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 37. البرتلي، المصدر السابق، ص 27.

[4] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص133.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص 38.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 141. البرتلي، المصدر السابق، ص ص 29– 30.

[7] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 234.

أما القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت أخذ العلم عن أبيه محمود وعمه أحمد ابنا عمر أقيت، وأثناء حجِّه أجازه الناصر اللقاني جميع ما يجوز له وعنه[1].

كما أخذ الفقيهان الأخوان عبد الله وعبد الرحمان ابنا محمود بن عمر أقيت عن عمهما الحاج أحمد بن أحمد بن عمر أقيت[2].

ونجد كذلك الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر أقيت، حصل على جده المذكور الرسالة ومختصر خليل مرة، وعن غيره المختصر والمدونة[3].

وأما الفقيه عبد الرحمان بن عبد الرحمان بن محمود بن عمر (ت1006هـ/1597م) ساهم في تكوينه العلمي الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت[4].

أما أحمد بابا التنبكتي أشهر علماء عائلة أقيت تعددت مصادر تعلمه وتكوينه العلمي والثقافي، وأول من تعلم على يده هو والده الحاج أحمد بن أحمد بن عمر أقيت حيث أجازه جميع ما يجوز له وعنه وسمع بقراءته الصحيحين والموطأ والشفاء[5]، وقرأ النحو لأول مرة على عمه أبو بكر بن أحمد بن عمر أقيت[6]، كما حضر دروس الفقيه أحمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بن عمر أقيت[7]، كما لازم الفقيه محمد بن محمود بغيغ لأكثر من عشر سنين فقرأ عليه مختصر خليل وفرعي ابن الحاجب وختم عليه الموطأ والعديد من المؤلفات

[1] أحمد بابا التنبكتي ، كفاية المحتاج، ج1، ص 378. أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 354. السعدي، المصدر السابق، ص 40.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، نفسه، ص 142.

[3] نفسه، نيل الابتهاج، ص 143. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 139. البرتلي، المصدر السابق، ص 28.

[4] البرتلي، نفسه، ص 175.

[5] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142.

[6] نفسه، نيل الابتهاج، ص 151. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 181.

[7] نفسه، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 143.

الأخرى، ويقول فيه أحمد بابا:" ... وبالجملة هو شيخي وأستاذي ما نفعني أحد كنفعه وبكتبه، وأجازني بخطه جميع ما يجوز له وعنه"[1].

وكذلك أتاحت لهؤلاء العلماء الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافدا آخر لزيادة تكوينهم العلمي والثقافي، ففي هذه الرحلات كانت تتاح لهم فرصة مقابلة فقهاء المذهب المالكي وكذلك حضور دروسهم وكانوا يمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم[2].

وهكذا نجد تنوعا في المنابع التي استقى منها أفراد هذه العائلة، فكانت للبيئة الثقافية التي عاشوا فيها آثارها في هذا التنوع، وانعكس هذا عليهم وكان له أكبر الأثر في قيامهم بدور كبير في مجال التعليم داخل مدينة تنكبت وخارجها[3].

دورهم التعليمي:

حظي التعليم في مدن السودان الغربي وفي تنكبت خاصة باعتبار كبير من السلطة والشعب بالنظر لما كان يتيح لطالبه من مكانة مرموقة في المجتمع بعد تحصيله ولارتباطه بالمقومات الدينية، ولِما كان يتمتع به العالم من تقدير من الحكام وتقديس من العامة[4].

لقد كان لعائلة أقيت أثر واضح في التعليم والتدريس، وظهر منهم علماء بارزون قاموا بتدريس عدد من العلوم منها العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخ والمنطق وغيرها، وبخاصة الفقه المالكي حيث خصصوا دروسهم الرئيسية فيه[5].

---

[1] أحمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 602. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص ص 239-240.

[2] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 240.

[3] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 150.

[4] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 546.

[5] علي يعقوب، العائلات العلمية في السودان الغربي "دراسة وصفية"...عائلة أقيت أنموذجا، مجلة قراءات الإفريقية، ع44، أبريل 2020، ص 10.

فقد كان لهذه العائلة دور في مرحلة التعليم العالي الذي كان يعتمد أساسا على الأمهات المصدرية والشروح[1]، وعن أهم العلوم التي قاموا بتدريسها فنجد أن علوم اللغة والنحو كانت من أهم هذه العلوم، لأن تعلم القرآن والعربية من أهم الضروريات، فقد ارتبط الإسلام باللغة العربية واحتلت عندهم مكانة القداسة لأنها لغة القرآن، فعن طريق معرفتها يتم التعرف على علوم الدين جميعها، فأصبح أساس التعليم هو حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية[2].

واشتهر الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بتدريس علوم اللغة العربية وآدابها، فقد كان فقيها، نحويا، لغويا، عروضيا، محصلا، بارعا، حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ الكتب[3].

وبرز في علم النحو العالم والفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت، فقد نبغ في النحو والفقه واللغة وكان ضليعا فيها[4]، قام بالتدريس في تنكبت ونشر الثقافة الإسلامية في ربوعها، ودرس أيضا بولاتة وتوفي بها[5].

ومن الذين لازموا التدريس الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت، انتفع به خلق كثير وأحيى العلم بتلك البلاد واشتهر هناك، وقام بتدريس الفقه وكان أكثر ما يُقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل، وعنه انتشر قراءة خليل في غرب إفريقيا، وقام طلبته بتسجيل دروسه عن مختصر خليل وتعليقاته فأخرجوها شرحا في مجلدين وانتشر هذا الشرح هناك[6].

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 150.

[2] إبراهيم طرخان، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة أم درمان، ع2، 1969، ص 31.

[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 137. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 132. البرتلي، المصدر السابق، ص 27.

[4] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 151.

[5] إسماعيل ميقا، أشهر علماء، المرجع السابق، ص 219.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 607. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 245. إسماعيل ميقا، نفسه، ص 222.

كما قام الحاج أحمد بن أحمد بن عمر أقيت بعد عودته من الحج بتدريس علم الحديث حيث كان مُسردا لصحيحي مسلم والبخاري أكثر من عشرين سنة بمسجد سنكري إلى غاية وفاته[1].

أما أخوه أبو حفص عمر بن أحمد بن عمر أقيت كان يُدرس كتاب الشفا في كل يوم رمضان في مسجد سنكري[2]، وكان بارعا في علم الحديث والسير والتواريخ، وبلغ الغاية القصوى في علم الفقه[3].

أما عبد الله بن محمود بن عمر أقيت فقد تفوق في نوازل الفقه، وكان يعمل بالتدريس في جوامع تنكبت، وظل هكذا حتى نفيه إلى مراكش مع أهل بيته[4].

كما اشتهر أحمد بن سعيد سبط الفقيه محمود بتدريس الموطأ والمدونة ومختصر خليل إلى غاية وفاته، وأخذ عنه خلق كثير[5].

أما أحمد بابا التنبكتي كانت له مساهمة كبيرة في العملية التعليمية، فقد قام بتدريس عدة علوم منها علم التفسير حيث درّس تفسير ذي الجلالين المحلي والسيوطي، وفي علم الفقه اعتنى بتدريس مختصر خليل والرسالة وعدة كتب، وحظي علم الحديث باهتمامه فقام بتدريس الصحيحين واختصارهما للقرطبي، والجامع الصغير للسيوطي[6].

كما كان لعلماء عائلة أقيت دور في التعليم عندما دخلوا مراكش، وازدحم الطلبة على دروسهم في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، وكان منهم بالطبع أحمد بابا الذي قام بتدريس مجموعة كبيرة من طلاب العلم الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه، وكان منهم العديد من الفقهاء[7].

---

1 السعدي، المصدر السابق، ص 33. البرتلي، المصدر السابق، ص 30.

2 السعدي، نفسه، ص 31.

3 نفسه، ص 34.

4 سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 152.

5 أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142. السعدي، المصدر السابق، ص 35.

6 أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 284. البرتلي، المصدر السابق، ص 34.

7 محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين، ج1، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة الفضالة، 1977، ص 71.

كذلك كان لعلماء آل أقيت دور في منح الإجازات العلمية[1] لبعض العلماء المغاربة، فهناك إجازة من أحمد بابا عام 1007هـ/1598م لأبي زيد عبد الرحمان بن سعيد التلمساني نزيل تارودانت بالسوس الأقصى بالنصف الأول من صحيح الإمام البخاري، وأكثر كتاب الشفا لعياض وأوائل كتاب مسلم والترمذي وأبي داوود، ومختصر خليل وموطأ مالك[2].

كما أجاز أحمد بابا العالم المغربي يحي بن سعيد عبد المنعم الحاحي عام 1008هـ/1599م ليروي عنه جزءا من الكتب والأحاديث بأسانيدها[3]، وفي عام 1010هـ/1601م أجاز أحمد بابا بمراكش أحمد المقَّري[4] أن يروي عنه جميع ما جمعه من علوم، وجميع تآليفه المفيدة[5]، كما ذكر محمد حجي أنه حوالي 1035هـ/1626م وجَّه أحمد بابا إجازة عامة لعبد الرحمان التمنارتي الذي كان نشطا ومجتهدا في الإفتاء وبعدها تولى القضاء[6].

هكذا تعددت العلوم التي قام بتدريسها أفراد عائلة أقيت ونبغوا فيها، ولم يقتصر دورهم التعليمي على طلاب العلم فقط، بل كان لهم دور في تعليم عدد من العلماء الذين ذاعت شهرتهم سواءا في تنكبت أو خارجها[7]، وكانوا يدرسون في المساجد المشهورة في الحواضر العلمية، وبالإضافة إلى المساجد كانت بيوت

---

[1] الإجازة العلمية: هي بمثابة الشهادة التي يسلّمها الأستاذ إلى طالبه أو مستجيزه، وهي إذن شخصي من طرف الشيخ وتفويض منه للطالب بممارسة التدريس أو الفتوى، وقد ارتبطت ارتباطا وثيقا بعلم الحديث، نظرا لما لها من أهمية في حفظ رواياته التي بفضلها يتم هذا العلم ويكتمل وبدونها يكون ناقصا لا محالة، وتنقسم إلى قسمين: إجازة خاصة وإجازة عامة، وتؤخذ على طريقتين هما: إجازة السماع وإجازة المكاتبة. يُنظر: محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص ص 80_82.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 154.

[3] نفسه، ص 154.

[4] أحمد المقّري: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحي بن عبد الرحمان بن أبي العيش بن محمد المقَّري القرشي، أصله من قرية بزاب افريقية تدعى مَقْرة، ولد بتلمسان سنة 986هـ ودرس بها على يد شيوخها، هاجر إلى فاس سنة 1009هـ ومنها إلى مراكش وبها التقى بعدة علماء منهم أحمد بابا التنبكتي سنة 1010هـ حيث أجاز واستجاز، توفي سنة 1041هـ بمصر. يُنظر: أحمد بن محمد المقري، المصدر السابق، ص ص ح _ يط.

[5] نفسه، ص ص 303-312.

[6] محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص 108.

[7] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 153.

هؤلاء العلماء تشكل مكانا مهما لتلقي العلم، حيث خصّص بعضهم أوقاتا خاصة في دهاليز بيوتهم لطلابهم الذين يجتمعون عندهم للدراسة[1].

من خلال ما سبق ذكره نجد أن التكوين العلمي لعائلة أقيت كان مختلف المصادر، حيث استفادوا من العلماء الذين تواجدوا في تنكبت أبرزهم جدهم وأخوالهم من آل أندغ محمد، إضافة إلى البيئة المحيطة بهم، كما أنهم لم يكتفوا بذلك واستفادوا من الرحلات إلى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج واستغلوها في ملاقاة أشهر العلماء في الطريق لزيادة رصيدهم العلمي والفكري واقتناء نفائس الكتب، هذا ما انعكس عليهم بالإيجاب وجعلهم يتصدرون التعليم والتدريس في بلادهم.

[1] علي يعقوب، المرجع السابق، ص 10.

المبحث الثاني: ممارستهم للوظائف السياسية والخطط الدينية:

إضافة إلى الدور التعليمي لآل أقيت كانت لهم أدوار سياسية، وذلك من خلال توليهم منصب القضاء الذي كانت له علاقة مباشرة بالسلطة الحاكمة التي تتولى تعيين قاضي القضاة في تنكبت، كما تقع على عاتق القاضي مسؤولية تسيير شؤون السكان في المدينة إضافة إلى تعيين القضاة في الأقاليم المجاورة كون قاضي تنكبت هو قاضي القضاة، وتولت العائلة هذا المنصب سنوات عديدة وتوارثوه فيما بينهم لأن الحكام رأوا فيهم الكفاءة لهذا المنصب، كما تولوا منصب الإمامة في مساجد تنكبت خاصة جامع سنكري.

توليهم منصب القضاء:

إن من أكبر المناصب الإدارية التي يتولاها العالم هي وظيفة "القاضي"، وهي ملازمة لقيام دولة المؤسسات الإسلامية بل كانت أثرا مباشرا للإسلام، فعندما نشأت المراكز التعليمية في غربي افريقية وأقيمت فيها المساجد وكثر فيها العرب والتجار والمسلمون والفقهاء القادمون من شمالي افريقية، ومنذ أن ظهرت دولة مالي الإسلامية وُجد منصب قاضي القضاة بالعاصمة، والقضاء في المدن المهمة والمدن الصغيرة[1].

ونظرا لأهمية هذه الوظيفة وضرورتها الملحة في نظام الحكم، فقدكانت بلاد السودان الغربي وعبر تاريخها الطويل تخضع لنظم وأعراف يتم بها تعيين القضاة من فئة العلماء والفقهاء المشهود لهم بالتقوى والورع وتحري العدل، إضافة للشروط العامة الواجب توافرها فيهم[2].

وكانت مهمة القضاء مهمة رفيعة وصعبة ومحل رعاية لدى السلطان، ولذلك اكتسبت مكانة مرموقة، ويطلق على القاضي لقب "بانفارفم"، ومن يتولى هذا المنصب يمتاز بمصافحة الملك ويتصدر الحاضرين في المناسبات والأعياد الدينية، ويُصدِّق السلطان القاضي فيما يقوله[3].

---

[1] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 521.

[2] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 94.

[3] الهادي مبروك الدالي، مملة مالي، المرجع السابق، ص ص 64-65.

وكان منزل القاضي ملجأ حرمة لا يجوز للسلطة الوصول إليه، فإليه يلتجأ الفارون من جور الملك وإليه يهرب الفارون من السجون وإليه يأتي الخائفون من التَّتبُع، ومن التجأ إليه أصبح آمنا، ولكن للقاضي أن ينظر في أمره حسبما يلتمس في ذلك من أحكام الشرع، وقد كان في كل مدينة قاض غير أن أكبر القضاة اعتبارا وخاصة لدى السلطة كان قاضي تنكبت[1].

ومن مهام القاضي الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية، فيحكم في الخلافات العقارية وفي الأحوال الشخصية وفي الشؤون المتعلقة بالإرث والديون والقروض والتجارة[2]، ومن أهم وأكبر وظائف القاضي كانت الإشراف على سير التعليم في البلاد، وهو الذي يعين المدرسين في منطقته ويُحصي الطلبة ويساعد المحتاجين منهم، وكان كثيرا ما يتولى مهمة بناء المساجد للدراسة والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك، أو يتولى توسيع مسجد من المساجد وترميمه، أما شهرة القاضي فتنمو بحسب نزاهته[3].

وكان منصب القضاء من أهم المناصب التي تولتها عائلة أقيت وتوارثوه مدة طويلة في تنكبت، فقد استمروا في هذا المنصب طيلة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، ولم يتحول عنهم إلا في عام 1003هـ/1593م[4].

ولما تولى الأسكيا الحاج محمد حكم مملكة صنغاي قام بعدة إصلاحات في البلاد، فجدّد الدين وأقام القضاة والأئمة، ونصّب قاضيا بتنبكت وقاضيا بِجني وفي كل مدينة تستحق قاضيا[5]، ويتمتع قاضي تنكبت بمكانة عالية نظرا لما تمثله هذه المدينة من مكانة تجارية وثقافية، ولهذا يُعتبر قاضيها قاضي القضاة وله حرمة خاصة، وهو الذي يُوَلي قضاة الأقاليم، وكان الحكام لا يُقدِمون على أمر ما إلا بمشورة القاضي والأخذ

[1] عبد القادر زبايدية، مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 77.

[2] نفسه، ص 75.

[3] نفسه، ص 76.

[4] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 165.

[5] محمود كعت، المصدر السابق، ص 160.

برأيه، فاستتب الأمن والاستقرار في البلاد طيلة عصر الأساكي بسبب اختيارهم قضاة من العلماء وخاصة من عائلة أقيت العلمية[1].

ومن أشهر قضاة هذه العائلة في مدينة تنكبت القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت، ولاه القضاء الأسكيا الحاج محمد عام 904هـ فشدد في الأمور وسدد وتوخى الحق في الأحكام، ولذوي الباطل هدد فظهر عدله بحيث لا يعرف له نظير في وقته، لا يخاف في الله لومة لائم، يهابه السلاطين فمن دونهم ويزورونه في بيته فلا يقوم لهم ولا يلتفت إليهم[2].

تولاها وعمره خمسة وثلاثون سنة ومكث فيها خمسة وخمسون سنة، وولاها في آخر عمره لابن خاله الإمام أندغ محمد ابن المختار النحوي[3]، وكانت له آراء في مسألة بيع الأحرار الذي شاع في البلدان وعرض عليه وكان رأيه يدعو بحرمة هؤلاء كما أفتى بهذا فقهاء الأندلس وفاس، وأن يُقبل قولهم من غير أن يُكلفوا بإثبات كونهم من تلك البلاد أو من غيرها، فالبلاد المعروفة بإسلامها، يُترك وسبيُه ويحكم له بالحرية كما أفتى بذلك فقهاء الأندلس[4].

ولما حجّ سنة 915هـ استخلفه القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر، الذي لم يسلم القضاء للفقيه محمود لمدة عشر سنوات إلا بعد تدخل الأسقيا محمد[5]، الذي أرسل رسله وأمر بأن يسلم الأمر للقاضي محمود وبأنه لا يستحق القضاء مادام محمود بين أظهركم حيا، ولاموه لسوء أدبه وعدم تسليم القضاء إليه فعزلوه[6].

يتبين لنا من ما ذكرناه المكانة الكبيرة التي كان يحظى بها القاضي محمود لدى الأسكيا الحاج محمد. وبعد وفاته سنة 955هـ، تولى القضاء بعده ابنه محمد بن محمود بن عمر أقيت وعمره يومئذ خمسة وأربعون

---

[1] علي يعقوب، المرجع السابق، ص 13.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 607.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 75.

[4] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 166.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص76.

[6] محمود كعت، المصدر السابق، ص 177.

سنة، ومكث في القضاء سبعة عشر سنة وثلاثة أشهر[1]، ولما توفي عام 973هـ شغل المنصب بعده أخوه القاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت ومكث في القضاء ثمانية عشر سنة[2]، وعُرف عنه أنه كان مسددا في أحكامه صلبا في الحق ثبتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم، جسورا على السلاطين، إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابه ثم يلاطفونه حتى يرجع[3]، توفي عام 991هـ رحمه الله وهو أعظم قضاة تنكبت عدلا واجتهادا ولم يتولَّ بعده نظير[4]، وبقي القضاء بعده سنة ونصف لم يتولاه حتى عام 993هـ، تولاها القاضي أبي حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت بعد أن رفضها ثلاث مرات متتالية، وقبل هذا المنصب بعد أن هدده الأسكيا داوود بأن يوليها لجاهل ويكون الذنب على عمر بن محمود، فلما قرأ الكتاب بكى وقبل فتولاها ومكث فيها تسع سنين[5]، وكان هو آخر من تولى منصب القضاء من عائلة أقيت، وهو من الذين حلت بهم كارثة الغزو المغربي ونفي إلى مراكش حيث توفي.

ومن ضمن المهام التي مارستها هذه العائلة مهمة تعيين إمامة الجامع الكبير في تنكبت، فقد كان تعيين الإمام يتم على يد القضاة، وكان للبعض منهم مواقف متشددة في التمسك برأيهم الذي كان يحترمه الأهالي وينفذونه[6].

توليهم منصب الإمامة:

تأتي الإمامة في المرتبة الثانية بعد القضاء، ومهمة الإمام هي إمامة المصلين في الصلاة بالمسجد الجامع، وعندما يترقى الإمام يتولى منصب القضاء، وتتم تولية هذا المنصب باتفاق أعيان المدينة أو البلدة، وموافقة

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 98.
[2] نفسه، ص 108.
[3] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 353.
[4] محمود كعت، المصدر السابق، ص 233.
[5] السعدي، المصدر السابق، ص 118. البرتلي، المصدر السابق، ص 178.
[6] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 167.

القاضي على رأس أهل المنطقة، وكانت هذه الوظيفة شبه وراثية في بعض الأسر التي اشتهرت بالعلم مثل أسرة أقيت[1].

ومن أعلام العائلة الذي تولوا إمامة مسجد سنكري الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت تولاها بعد أن سلمها له الفقيه أبو عبد الله أندغ محمد المختار النحوي بعد كِبر سِنّه[2]، ولما حجّ سنة 915هـ استخلف في الإمامة خاله المختار النحوي وبرجوعه إلى تنكبت ظن الناس أنه سيسلم الإمامة لخاله المذكور، لكن في ظهر يوم وصوله دخل المسجد وصلى بالناس[3].

ثم أمر الفقيه محمد بن محمود بن عمر أقيت أن يتولاها ابنه محمد لكنه اعتذر بسلس البول وشهد له بذلك الفقيه العاقب بن العاقب بن محمود، فقام القاضي محمد بتكليف شاهده بالإمامة، ثم كلفه الأسكيا داوود بالقضاء فجمع بين المرتبتين إلى أن توفي، ثم تولاها الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه محمود فكان راتبا فيها وهو آخر من تولى الإمامة من هذه العائلة[4].

وكان منهم من رفض الإمامة بالجامع الكبير وهو أحمد بن عمر بن محمد أقيت[5].

---

[1] مهدي رزق الله، المرجع السابق، ص 527.

[2] السعدي، المصدر السابق، ص 29. الأرواني، المصدر السابق، ص 131. الهادي مبروك الدالي، التاريخ الحضاري، المرجع السابق، ص 151.

[3] السعدي، نفسه، ص 76.

[4] نفسه، ص 63. الأرواني، المصدر السابق، ص 131.

[5] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 138. البرتلي، المصدر السابق، ص 27.

المبحث الثالث: مكتبات العائلة وإنتاجهم الفكري

نشطت الحركة الفكرية والثقافية في تنكبت وتطورت بشكل سريع بداية من أواخر القرن الخامس عشر وامتدت طيلة القرن السادس عشر الميلاديين، ساهم في دفع هذه الحركة كونها كانت مدينة تجارية توافد عليها التجار من مختلف حواضر العالم الإسلامي، الذين قاموا بنقل مختلف المؤلفات والمخطوطات النفيسة إليها التي تنافس العلماء في اقتنائها، إضافة إلى تشجيع الحكام الأسقيين للعلماء حيث خلقوا لهم المناخ الفكري الملائم للقيام بأدوارهم العلمية، وبرز في هذا الدور علماء آل أقيت الذين كانت لهم مكتبات خاصة بهم احتوت على نفائس المؤلفات، إضافة إلى مساهمتهم الفعالة في حركة التأليف حيث ألفوا في علوم مختلفة من فقه وحديث وتاريخ ومنطق وعلوم أخرى.

المكتبات:

كان الكتاب في العالم الإسلامي شعلة وضاءة ونبراسا من نور، اعتمد عليها العلماء والطلبة في كل مكان لتلبية رغباتهم العلمية، ومع انتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء السودان الغربي، وأصبحت حاجة طلاب العلم إلى الكتاب أكثر إلحاحا من أية فترة أخرى، ولتلبية هذه الحاجة الماسة كان من الضروري توفير الكتب التي هي عماد الثقافة والمعرفة، والتي كثر توافرها وترتب على كثرة الكتب ضرورة وجود مستودعات لها[1].

وتعتبر بلاد السودان الغربي من بين مواطن الحضارة الإسلامية التي تأثرت بسابقاتها مثل بلاد المغرب ومصر في الاهتمام بالكتب وظهور المكتبات[2]، وحفلت خزائن مدن السودان الغربي بكل ما كان معروفا من كتب في مختلف الفنون[3]، حيث اعتنى السودانيون باقتناء الكتب واستنساخها وتملكها، واستوى في ذلك الملوك والعلماء والتجار الذين لم يفرطوا في متعة تكوين خزائن في بيوتهم[4].

---

[1] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 552.

[2] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 309.

[3] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 514.

[4] نفسه، ص 556.

وتعد تنكبت من أهم الحواضر التي كثرت بها المكتبات، وكانت مفتوحة لاطلاع الطلاب والراغبين في العلم، واشتهرت عدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها، ولكن عرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة، وكانت تدور بها حركة نسخ نشيطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نُسخ من الكتب التي يريدونها[1]، وازدهرت بها تجارة المخطوطات حيث كانت تأتي من بلاد البربر وتُدِر أرباحا تفوق أرباح سائر البضائع كما ذكر الحسن الوزان[2]، ويشير بول مارتي إلى كثرة الكتب في تنكبت في قوله:" مع أن الطباعة لم تصل إلى تنكبت بعد إلا أن الكتب لم تنقص، لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان، وكانت تباع أكثر من أية بضاعة أخرى"[3].

وكانت هذه الحاضرة سوقا للكتب تُنسخ فيها المخطوطات وتوزع في البلاد[4] حيث يقوم متطوعون خاصة ممن يرغبون مزاولة هذا العمل، وهم عادة من طلبة جامعة سنكري في المدينة بإعادة نسخ ما يحصلون عليه من الكتب بالخط العربي، ثم يبيعون تلك النسخ لمن يريد وتبقى النسخة الأصلية مع أولئك الناسخين[5].

فاعتنى علماء ومثقفوا السودان الغربي وحكامها باستنساخ المخطوطات بأيديهم، وإنشاء خزائن ومكتبات خاصة امتلأت بكل أنواع المخطوطات المجلوبة من بلاد المغرب والمشرق، وقامت بدور كبير في تفعيل الحركة العلمية وتسهيل البحث والتحصيل العلمي للطلبة[6]، ونتيجة لازدهار هذه الحياة العلمية أقبل الناس في شغف على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية[7].

---

[1] أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج6، القاهرة، 1998، ص 235.

[2] الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 167.

[3] Paul Marty, etudes sur l'islam et les tribus du soudan, collection de la revue du monde musulman, editions Ernest Leroux, Paris, 1920, p 126.

[4] عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 148.

[5] علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 94.

[6] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 252.

[7] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 166.

وكان للسلطان منسا موسى دور كبير في جلب الكتب وتوفيرها لأهل مكتبته، وكانت جل هذه الكتب من فقه المالكية[1]، ثم تبعه في ذلك مؤسس أسرة الأساكي في صنغي الحاج محمد الذي يذكر بأنه أهدى مكتبة علمية متكاملة للجامع الكبير في تنكبت[2].

وأورد محمود كعت أن الأسكيا داوود هو أول من اتخذ خزائن الكتب حيث يشير قائلا:" ...وهو أول من اتخذ خزائن المال وحتى خزائن الكتب، وله نساخ ينسخون له كتبا، وربما يهادي بها العلماء..."[3].

وكانت في تنكبت مكتبة يلتقي فيها العلماء أثناء إقامتهم أو عبورهم من مختلف السودان الغربي باتجاه الحج لبيت الله الحرام[4]، وبجانب هذه المكتبات العامة وُجدت خزانات الكتب الخاصة في بيوت العلماء والأثرياء، وكانت هذه الخزانات أكثر انتشارا فقد شملت المدن الكبيرة والصغيرة على السواء[5].

وكانت من أهم مكتبات السودان العربي هي التي امتلكتها أسرة آل أقيت التنبكتية، فقد اقتنوا معظمها من التجارة ومما كان يجلبه الحجاج معهم من الشرق[6]، واشتهرت عائلة أقيت بملكيتها للكتب والمكتبات الخاصة، فقد توفرت لأفراد هذه العائلة جميع العوامل التي ساعدتهم على اقتناء مجموعات كبير من الكتب والمخطوطات النادرة التي أودعوها في مكتباتهم الخاصة التي وورّثوها بعضهم لبعض[7].

وكانت غنية بالمؤلفات القديمة في الحديث والفقه، اقتنوا معظمها أثناء رحلاتهم الدراسية ببلاد المغرب والمشرق، واستنسخوا أخرى محليا بخطوطهم السودانية[8]، كذلك حصلوا على بعض كتبهم عن طريق الإهداء، وذلك أثناء قيامهم برحلات للشرق لأداء فريضة الحج، فهناك كانوا يلتقون بمجموعة العلماء

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 73.
[2] سحر أحمد مرجان، المرجع السابق، ص 253.
[3] محمود كعت، المرجع السابق، ص 204.
[4] عبد الحميد جنيدي، المدارس ونظام التعليم في مدينة تنبكت في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مجلة كان التاريخية، ع19، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2013، ص 91.
[5] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 75.
[6] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 557.
[7] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 155.
[8] محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص 194.

الكبار الذين كانوا يهدون إليهم كتبهم التي ألفوها أو الكتب التي كانوا يملكونها مثل ما أتى به الحاج أحمد ومحمود والعاقب وأبو بكر وأحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت وغيرهم[1].

فنجد الحاج أحمد بن عمر أقيت كتب كتبا عديدة بخطه مع فوائد كثيرة، وترك نحو سبعمائة مجلد[2]، وسميت مكتبته الخاصة بمكتبة الحاج أحمد ويذكر بأنه ورث مجموعة من مقتنيات مكتبته عن جده لأمه الفقيه أندغ محمد وخاله الفقيه النحوي[3].

ومن أهم مكتبات علماء علماء آل أقيت تلك التي امتلكها الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت، وهي من أبرز المكتبات العلمية في تنكبت، حيث احتوت على العديد من الكتب الثمينة والنفيسة التي نهل منها طلبة العلم، وقد كان جمّاعا للكتب وافر الخزانة محتوية على عِلق نفيس، سموحا بإعارتها ولم يبخل على طلبة العلم لما تحتويه مكتبته[4].

كما امتلك أحمد بابا التنبكتي مكتبة غنية ضاعت أثناء الغزو السعدي لتنكبت، وتحدث عن ذلك أحمد بابا بقوله:" أنا أقل عشيرتي كتبا وذهبت لي ست عشر مجلد"[5] أي ألف وستمائة.

كذلك استفاد أحمد بابا من خزانة منصور السعدي في فترة وجوده بمراكش (1002-1016هـ/1593م-1606م)، فقد كانت الكتب تنهال عليه وكان طلابه وأصدقاؤه يزودونه بما لديهم من كتب نفيسة[6].

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 156.
[2] السعدي، المصدر السابق، ص 37. البرتلي، المصدر السابق، ص 27.
[3] البرتلي، نفسه، ص 27.
[4] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 137. السعدي، المصدر السابق، ص 42. البرتلي، نفسه، ص 29.
[5] محمد حجي، المرجع السابق، ج1، ص 194.
[6] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 156.

وتعتبر مكتبته من أشهر المكتبات في بلاد السودان الغربي نظرا لنسخه العديد من الكتب وشرائه البعض الآخر إضافة إلى تآليفه الكثيرة، خاصة وأنه أقبل على جمع الكتب والمخطوطات فأنشأ بذلك مكتبة عريقة ضاعت أثناء محنة العائلة[1].

هكذا تعددت الوسائل لحصول هذه العائلة على الكتب النفيسة والنادرة فاحتفظوا بها في مكتباتهم الخاصة، وأفادوا بها غيرهم من طلاب العلم حيث امتلكوا أعدادا كبيرة من الكتب في خزائنهم، وساعدتهم هذه المكتبات على الوصول إلى مرحلة ناضجة من التفكير أهّلتهم للمشاركة في الحركة الفكرية، فساهموا في خدمة الثقافة العربية والإسلامية، فتركوا للمكتبة العربية والإفريقية العديد من التآليف المتنوعة[2].

الإنتاج الفكري لعائلة أقيت:

ساهم بعض علماء آل أقيت في الحركة الفكرية في تنكبت وذلك بعد تأليفهم مؤلفات مختلفة في عدة علوم مثل الفقه واللغة العربية والتراجم والتصوف، كما كان لهم رسائل وتعاليق وكتب جُمِعت وتداولها الناس، لكن للأسف فُقِد منها الكثير عندما تعرضت تنكبت للغزو السعدي وبعده الاستعمار.

ونجد أن مؤلفاتهم لا تنعزل عن البيئة الثقافية التي تشبعوا بثقافتها، وكان لانتمائهم لمذهب الإمام مالك سببا في اهتمامهم بتأليف المختصرات والشروح والحواشي والتعاليق على مؤلفات هذا المذهب، فحظي مختصر خليل بنصيب كبير من التأليف فألفوا عليه تعاليق وحواشي[3].

ومن العلوم التي ألف فيها علماء عائلة أقيت نجد:

علم الفقه: من آثار علماء آل أقيت في علم الفقه التي أوردتها كتب التراجم، نذكر ما صنّفه الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (ت991) فله حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل، كما له تعليقات على

---

[1] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 311.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 156.

[3] نفسه، ص 158.

صغرى السنوسي في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي التي اشتهرت بالقرطبية[1].

أمّا القاضي محمود بن عمر أقيت (ت955هـ) كان أكثر ما يُقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل، وهو أول من بدأ بتدريسه في تنكبت، وله شرح عليه في جزأين قام بجمعه طلابه وانتشر هذا الشرح في السودان الغربي[2].

كما شارك أحمد بن محمد بن سعيد (ت976هـ/1568م) سبط محمود بن عمر أقيت في علم الفقه، حيث له استدراكات في الفقه وحاشية لطيفة على خليل اعتنى فيها بالنقل واعتمد على نقل البيان والتحصيل[3].

أمّا أحمد بابا التنبكتي فقد شارك بمؤلفات جليلة في الفقه وفروعه ومن أهمها:

شروح وتعاليق على مختصر خليل منها: شرح على مختصر خليل من الزكاة إلى النكاح في سفرين سمّاه **"المقصد الكفيل بحل مقفل خليل"**، وحاشية عليه سمّاها **"منن الرب الجليل في تحرير مهمات خليل"** في سفرين، وألف أيضا **"إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع"**، كما له كتاب بعنوان **"أنفس الأعلاق في فتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق"**[4]، وكذلك كان له مؤلف في المختصر بعنوان **"أسئلة في المشكلات"** وهو يحتوي على ستة وثلاثين إشكالا فقهيا[5]، وله أيضا **" معراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود"** أو **"الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان"** وتكمن أهمية هذا المؤَلف في كونه يشكل نصا مؤسسا في الفقه المالكي ومصدرا أساسيا من مصادر تاريخ

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142. السعدي، المصدر السابق، 43. البرتلي، المصدر السابق، ص 30.

[2] أحمد بابا التنبكتي، نفسه، ص 607. السعدي، نفسه، ص 38.

[3] أحمد بابا التنبكتي،نيل الابتهاج، نفسه، ص 142. السعدي، المصدر السابق، ص 43. أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج1، ص 139. الأرواني، المصدر السابق، ص 86.

[4] أحمد المقّري، المصدر السابق، ص ص 303-304. البرتلي، المصدر السابق، ص 35.

[5] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 159.

بلاد السودان في العصر الحديث، ويؤكد فيه أحمد بابا على الضوابط الشرعية التي تحكم الاسترقاق عند المالكية في الغرب الإسلامي[1].

هذا وألف أحمد بابا عدة مؤلفات فقهية أخرى هامة ومشهورة منها: **"ترتيب جامع المعيار للونشريسي"، "اللمع في الإشارة إلى حكم التبغ"، " تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف"، "درر الوشاح في فوائد النكاح"، "الزند الوردي في مسألة تخيير المشتري"، "مسائل إلى علماء مصر"**[2].

كذلك كان لأحمد بابا ردود حول مسائل وردت إليه على شكل أسئلة حول مسألة الرق وأيضا بيع الكتب وبيع الحطب[3]، وتبلغ مؤلفاته الفقهية حوالي 20 مؤلفا بين كتاب ورسالة وتعليق وحاشية[4].

علم الحديث:

ومن أبرز علماء آل أقيت الذين اهتموا بعلم الحديث نجد:

الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر أقيت (ت991هـ) أسمع الصحيحين في مسجد سنري أكثر من عشرين سنة ثقل عليه لسانه وهو يقرأ صحيح مسلم في الجامع[5].

واشتهر أحمد بابا التنبكتي بتدريسه لعِلم الحديث وبإجازاته التي كان يمنحها لطلابه منهم أحمد بن محمد المقَّري حيث يقول في ترجمته لأحمد بابا: "وأجازني جميع تآليفه المفيدة..."، ويقول أحمد بابا في الإجازة عن

---

[1] أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تح/تر: فاطمة الحراق وجون هانويك، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000، ص 13-14.

[2] البرتلي، المصدر السابق، ص 35-36. أحمد المقّري، المصدر السابق، ص 304. دريسا تراوري، حقيقة إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التنبكتي (1036هـ/1627م) _دراسة وتحقيق_، مجلة رفوف، مج 6، ع2، 2018، ص 10-11

[3] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 159.

[4] علي يعقوب، المرجع السابق،ص 12.

[5] السعدي، المصدر السابق، ص ص 35، 212. محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 233.

علم الحديث: "وأجزته أن يروي عني صحيح البخاري والسنن الأربع..."[1] ، ومن تآليف أحمد بابا في علم الحديث: **الأمل في تفضيل النية على العمل** في شرح حديث نية المؤمن أبلغ من عمله، وآخر سماه **غاية الأمل في تفضيل النية على العمل**[2] إضافة إلى عدة مؤلفات أخرى.

اللغة العربية:

– **النحو**: عرف هذا العلم اهتماما من قبل علماء آل أقيت لما له من علاقة بالعلوم الدينية التي لا يمكن الخوض فيها إلا باللسان العربي، فاهتموا به تدريسا وتأليفا، إلا أن التأليف كان قليلا مقارنة بالعلوم الدينية، إذ ألف محمود بن عمر بن محمد أقيت **"حاشية القيومية على الأجرومية"** وشمل هذا الشرح مواضع مختلفة على الأجرومية شملت اللفظ والتركيب والإعراب وأقسامه والأسماء الخمسة وغيرها[3].

وقد أثرى أحمد بابا التنبكتي علم النحو بمؤلفات قيمة واشتغل به تدريسا وتأليفا، ومن مؤلفاته: **"النكت الوافية بشرح الألفية"**، **"غاية الإجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الإفادة"**، **"التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن ادريس"**، وله شروح وتعاليق على ألفية ابن مالك[4]، و**"تقييد في صحة تركيب قام رجل وتكلم رجل"**[5]، و**"شرح رجز المكودي في التصديق"**، و**"المسك الأثم في معرفة هلم"**[6].

– **الشعر**: تنوعت أغراض الشعر التي نظم فيها علماء آل أقيت، فقد اهتموا بشعر المديح خاصة في مدحه صلى الله عليه وسلم والاشتياق لزيارة قبره الشريف، وأيضا في الشوق والحنين للوطن بعد نفيهم إلى مراكش.

---

[1] أحمد المقري، المصدر السابق، ص 310.

[2] محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص 272.

[3] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 160.

[4] البرتلي، المصدر السابق، ص 31.

[5] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 254.

[6] آمنة محمود الذيابات، المرجع السابق، ص 427.

فنجد أحمد بن أحمد بن عمر أقيت له شرح على مخمسات العشرينات الفازازية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

فكان لأحمد بابا التنبكتي قصيدة وهو في منفاه بمراكش يحن فيها إلى بلده سبق ذكرها في الفصل الأول.

ويذكر أحمد المقّري في كتاب "روضة الآس" أن لأحمد بابا سبط اسمه محمد نظم قصيدة يتشوق فيها إلى تنكبت، من بيوتها:

يا سائق الأظعان إن جئت من	أربع تنكبت فجئ سنكري
وحـي ناويـها من الـصـب أو	فصِف لهم حالي وما يعتري[2]

العلوم الاجتماعية:

- **التاريخ:** حظي علم التاريخ باهتمام علماء أسرة أقيت، فنجد أبو حفص عمر بن محمود بن عمر أقيت برع في علم السير والتواريخ وأيام الناس، لكنه لم يترك مؤلفا[3].

ولأحمد بابا التنبكتي مؤلفات في علم التاريخ هي: **"درر السلوك بذكر الخلفاء وأفاضل الملوك"**، **"القول المنيف في ترجمة الإمام أبي عبد الله الشريف التلمساني وولديه"**، **"اللآلئ السندسية في الفضائل السنوسية"** وهو مختصر لكتاب **"المواهب القدوسية في المناقب السنوسية"** الذي ألفه محمد ابن إبراهيم الملالي، وله أيضا **"منظومة في المبعوثين على رأس كل مئة سنة"**[4].

- **التراجم:** وهي المؤلفات التي وضعت لتترجم لسيرة شخص واحد بعينه، فتدرس عصره وعلمه والعلماء الذين أخذ عنهم ونشاطاته وعلاقاته وآثاره، أما إذا اشتملت على أكثر من ترجمة فتسمى بالطبقات، ثم

---

[1] السعدي، المصدر السابق، ص 30. البرتلي، المصدر السابق، ص 314.

[2] أحمد المقّري، المصدر السابق، ص 314.

[3] السعدي، المصدر السابق، ص 34.

[4] آمنة محمود ذيابات، المرجع السابق، ص 427.

تطور هذا النوع التأليفي حتى أصبح يعرف بالمناقب، أمدتنا بمادة تاريخية وسلطت الضوء على جوانب كثيرة من حياة العلماء والفقهاء[1].

وأشهر التراجم في تنكبت وفي بلاد السودان الغربي وحتى في الغرب الإسلامي كانت من تأليف أحمد بابا التنبكتي وتمثلت في **"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"**، و**"كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج"**.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج: وهو معجم لعلماء السودان الغربي وبلاد المغرب من فقهاء المالكية[2]، ومن أهم كتب التراجم في الغرب الإسلامي[3]، وهو هامش على كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لبرهان الدين ابراهيم بن فرحون[4]، وكان الهدف من وضعه ذكر علماء المذهب المالكي السودانيين الذين لم يكن ابن فرحون يعرف عنهم شيئا، وتصحيح بعض الهفوات والنقص في الكتاب الأصلي[5].

وقد ابتدأه في تنكبت وأتمه في مراكش عام 1005هـ[6]، وتكمن أهمية الكتاب فيما بثه بين ترجماته من فوائد تاريخية واجتماعية ولغوية فضلا عن الترجمات التي نقلها من مصادر مازال الكثير منها مفقود، بدأه بترجمة لابن فرحون واعتمد في تراجمه لأعلام القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للهجرة على الترتيب

[1] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 224.

[2] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 289.

[3] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 156.

[4] إبراهيم بن علي بن بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون اليعمري الأُيَّاني ثم الجياني الأصل المدني المولد، يعرف ببرهان الدين، من أهل بيت علم أبوه وعمه وجده، نشأ في الاشتغال بالعلم، تولى القضاة بالمدينة المنورة عام 937هـ، له تآليف كثيرة في علوم عديدة أحيى المذهب المالكي بعد خموله، عاش لم يملك دارا ولا نخلا، إنما يسكن في الكراء، ويأكل بالسلف والدين، توفي في العاشر ذي الحجة عام 799هـ. يُنظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص ص 33_35.

[5] محمد الغربي، المرجع السابق، ص 540-541.

[6] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 641.

التسلسلي حسب الحروف الأبجدية، ويحتوي على ثمانمائة وثلاثون رجلا مترجما له[1]، كما احتوى على معلومات مهمة للمدارس والمؤلفات والحركة الثقافية في عصر المؤلف[2].

كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج: هو عبارة تكملة أو ذيل لكتاب نيل الابتهاج حيث اقتصر فيه على ذكر المشاهير من الأئمة والفقهاء المشهورين بتأليفهم دون غيرهم[3]، ورتبه على نفس ترتيب نيل الابتهاج[4]، كما ذكر المصادر التي اعتمد عليها، وفرغ من تأليفه عام 1012هـ/1603م[5].

ومن مشاهير مؤلفي التراجم من عائلة أقيت نجد الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت جد أحمد بابا، وهو الذي بدأ كتابة التراجم ثم تبعه حفيده فيجمع تراجم علماء المالكية ونقل عنه في كتابه نيل الابتهاج[6].

علم المنطق:

اهتم علماء عائلة أقيت بعلم المنطق حيث تنوعت كتاباتهم فيه ما بين تعاليق وشروح على الكتب المشهورة فيه، خاصة مؤلفات محمد بن عبد الكريم المغيلي.

فنجد لأحمد بن أحمد بن عمر أقيت شرح منظومة المغيلي في المنطق شرحا جامعا حسنا[7] سمّاه **"مناخ الأحباب من منح الوهاب"**[8] وله شرح على جمل الخونجي[9].

[1] إبراهيم علي حسن الشيخي، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان، 2008، ص 348.

[2] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 277.

[3] عبد الحميد مقاديم، المرجع السابق، ص 158.

[4] محمد مولاي، المرجع السابق، ص 291.

[5] أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، المصدر السابق، ج2، ص 286.

[6] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 278.

[7] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142. البرتلي، المصدر السابق، ص 30. السعدي، المصدر السابق، ص 43.

[8] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 161.

[9] أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 142.

ومن أبرز علماء العائلة في علم المنطق محمد بن محمود بن عمر أقيت (ت973هـ)، ويعتبر العالم الثاني فيه بعد الإمام المغيلي حيث تتبّع مؤلفاته بالتدريس والشرح والتعليق، وأهم أعماله نظم أرجوزة على شرح منظومة المغيلي، وله تعاليق وشرح على رجز المغيلي في المنطق[1].

كما كان لأحمد بابا رسائل كلامية متعددة منها: **"تنوير القلوب بتكفير الأعمال الصالحات للذنوب"** وكان هذا الموضوع مرتبط بعلم الكلام حيث فيه بعض مواقف الفرق الكلامية مثل المعتزلة والمرجئة، وله أيضا **"شرح صغرى السنوسي"**، و **"المطلب والمأرب في أعظم أسماء الرب"**[2].

التصوف:

يعد علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الإسلام، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الحياة وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه[3]، ومن علماء آل أقيت الذين ساهموا في هذا العلم نجد: أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (ت991هـ/1583م) له تآليف صغار في التصوف منها: **"معين الضعفاء في القناعة"**[4].

كما ألف في التصوف العالم أحمد بابا التنبكتي وله **"الدر النظير في كيفية الصلاة على الشفيع البشير"**، **"حمائل الزهر فيما ورد من كيفية الصلاة على سيد البشر"**، وله أيضا **"نشر العبير بمعاني آيات الصلاة على البشير النذير"**[5].

كذلك كان لأحمد بابا التنبكتي مؤلفات في مجالات أخرى، فعندما وجد أن بعض الأساكي الأواخر تخلوا عن السياسة التي وضع قواعدها لهم الأسكيا محمد ألف كتابا عام 997هـ/1589م وسماه **"جلب النعمة ودفع النقمة بمحاباة الولاة الظلمة"** عبر فيها عن رأيه في رفض السلطة الجائرة، ثم ألف كتاب

---

[1] محمد الفاجالو، المرجع السابق، ص 282.

[2] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 161.

[3] محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 243.

[4] أحمد بابا التنبكي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص 151.

[5] سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 161.

"التحذير من قرب الظلمة ومصاحبتهم والسعي إليهم ومؤانستهم طلبا لحطام الدنيا الفانية وزهرتها الدنية الواهية"[1].

وقد حازت مؤلفات هذه العائلة كثيرا من الإقبال، فسعى لطلبها العلماء وطلاب العلم، فهناك رسالة من أحمد علماء إفريقيا فيما وراء الصحراء يطلب إلى صاحبه الذي في المغرب بأن يبحث له عن مؤلفات لأحمد بابا التنبكتي حتى لا يرحمه من الاطلاع عليها وخاصة المؤلفات التي ألفها احمد بابا إثناء وجوده في مراكش، ويطلب منه أن ينسخ أو يشتري له هذه الكتب[2].

ما يمكن أن نخلص إليه أنه كان للمكتبات الخاصة بعلماء آل أقيت فضل كبير في المحافظة على الكتب والمؤلفات في مختلف العلوم، إضافة إلى تنوع مصادر هذا الرصيد الفكري سواءا كان مشرقيا أو مغربيا أو سودانيا، كما كانت مكتباتهم في متناول طلبة العلم الذين توافدوا عليهم، وساهمت هذه المكتبات في التكوين العلمي لأفراد هذه العائلة وبلوغهم مرحلة ناضجة من التفكير جعلتهم روادا للحركة الفكرية في السودان الغربي، وذلك من خلال تآليفهم الكثيرة في مختلف العلوم التي كانت سائدة في ذلك العصر، حيث ألفوا شروحا وحواشي وتعاليق على الكتب المشهورة في ذلك الوقت، ساهموا بها في حركة التأليف ودفع الحركة العلمية في تنكبت.

---

[1] سوزي أباظة، المرجع السابق ، ص 162.

[2] نفسه، ص 162.

خاتمة

من خلال دراستنا هذا الموضوع توصلنا إلى النتائج التالية:

نشأت تنكبت على أيدي طوارق أمقشرن أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، واتخذوا من اسم العجوز التي كانت تقيم عند البئر الذي كانوا ينزلون به إسما للمدينة الذي اشتهرت به.

تتمتع تنكبت بموقع جغرافي هام جعل منها منطقة جذب لعدة قرون، وأصبحت همزة وصل بين شمال وجنوب الصحراء تنزل بها القوافل التجارية القادمة من مختلف الحواضر، هذا ما جعلها ملتقى لمختلف التيارات الفكرية حتى غدت حاضرة ثقافية وتجارية في بلاد السودان الغربي.

ساهم سلاطين دولتي مالي وصنغاي في ازدهار الحركة العلمية في تنكبت، حيث شيّدوا المساجد والمدارس وشجعوا العلماء على العطاء، أدى إلى بروز علماء أجلاء أدّوا دورا بارزا في نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية.

ينتمي آل أقيت سلاليا إلى قبائل صنهاجة البربرية وتحديدا إلى قبيلة جُدالة، ونُسِبوا إلى جدهم الأول أبو بكر بن عمر الصنهاجي أمير المرابطين لإضافة العظمة والشرف إلى أصلهم.

أقرب أجداد هذه العائلة التي أشارت إليهم المصادر السودانية عاشوا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وقام جدهم الأول بالهجرة من موطنه ماسنة إلى ولاتة، بعدها استقر بتنبكت مع أبنائه الثلاثة، وربطتهم صلة مصاهرة مع أسرة آل أندغ محمد أصحاب النفوذ في المدينة، مكّنهم من فرض وجودهم العلمي والثقافي والسياسي والاجتماعي بتنبكت.

أما عن صلة المصاهرة التي ربطت آل أقيت مع آل أندغ محمد، فإن زوجة الفقيه عمر بن محمد أقيت هي كريمة الفقيه أندغ محمد الكبير الجد الأعلى لآل أندغ محمد، وهذا يعني أن آل أندغ محمد هم أخوال أبناء الفقيه عمر بن محمد أقيت.

الإطار التاريخي الذي برزت فيه عائلة أقيت وشهد شهرتها، يمكن تحديده من منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي حتى أوائل القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، حيث عاصروا

فترة الأسقيين حكام صنغاي الذين شجعوا العائلة على ممارسة نشاطهم الثقافي، إلى غاية أواخر حكم الدولة السعدية لبلاد السودان الغربي.

شهد العصر الذي برزت فيه عائلة أقيت سيادة المذهب المالكي في ربوع البلاد، حيث عرف وصول المدونات الفقهية المالكية الشائعة في المغرب الإسلامي مثل: مدونة الإمام سحنون، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، كتاب الشفا للقاضي عياض، مختصر خليل بن اسحاق، مؤلفات المغيلي ...وغيرها.

أثّرت البيئة الثقافية التي عاشت فيها العائلة في تكوينهم الفكري، حيث ساهموا في نشر علوم عصرهم، فذاعت شهرتهم في مجال التدريس ومنهم من كانت له مدرسته الخاصة، وقاموا بتدريس العلوم الفقهية واللغوية، وإضافة إلى تدريسهم طلبة العلم قاموا بتدريس علماء مشهورين في تنكبت ونواحيها وحتى في المغرب الأقصى.

سجلت المصادر التاريخية مساهمة آل أقيت الفعالة في مجال التأليف، حيث تعددت بين متون وشروح وتعاليق على المؤلفات المشهورة والمتداولة في عصرهم، وأشهر آثار هذه العائلة ما دوّنه أحمد بابا التنبكتي الذي أثرى المكتبة السودانية والإسلامية بمؤلفات جليلة، مازال منها ماهو محفوظ ومتداول إلى الآن.

حَرَص آل أقيت على اقتناء الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة وجمعها في خزاناتهم الخاصة، تحصلوا عليها عن طريق النَّسخ والشراء أو الإهداء، حيث كوّنوا ثروة علمية في مكتباتهم توارثوها فيما بينهم، إضافة إلى ما وصل إليهم من ميراث أخوالهم آل أندغ محمد، وعُرف عنهم فتحهم لهذه المكتبات لجميع قاصديها.

مارَس فقهاء آل أقيت خطة القضاء طيلة فترة الأسيقيين وساهموا في تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع السوداني، وأشهر من تولاها الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت وابنه العاقب بن محمود، ومنهم من رفض المنصب، كما كان من مهامهم تعيين الأئمة في المساجد، ومنهم من أشرف على جامع سنكري، إضافة إلى مساهمتهم في بناء المساجد وترميمها.

كان لعلماء آل أقيت علاقات بالحكام باعتبارهم يشغلون مناصب حساسة، إذ كانوا حلقة وصل بين السلطة والرعية، حيث تأرجحت هذه العلاقات بين السلمية كعلاقتهم مع الحكام الأسيقيين، وبالعدائية بسبب دفاعهم عن الظلم مع سني علي وبعض الباشاوات السعديين.

ونتيجة لموقفهم الرافض للحكم السعدي وغزوهم لبلاد السودان الغربي وتخريبهم تنكبت، تعرضوا إلى الظلم والإذاية من الغزاة وتم نفيهم إلى مراكش أين توفي العديد من أفردها هناك.

وفي الأخير يتبين لنا من خلال دراسة هذا البحث أن أسرة آل أقيت لعبت دورا ثقافيا كبيرا ساهمت به في دفع الحركة الفكرية في تنكبت إلى مستويات عالية، وأن مستواهم العلمي والثقافي لا يقل عن المستوى العلمي الذي كان سائدا آنذاك في الحواضر العلمية المنتشرة في العالم الإسلامي.

الـمـلاحــق

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: موقع مدينة تنبكت على حافة منحنى نهر النيجر.

الملحق رقم 02: بلاد السودان الغربي منتصف العاشر الهجري القرن السادس عشر الميلادي.

الملحق رقم 03: بلاد السودان الغربي بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي.

الملحق رقم 04: قائمة بسلسلة نسب عائلة أقيت.

الملحق رقم 05: شجرة نسب علماء آل أقيت من إعداد الطالب.

الملحق رقم 06 : إجازة أحمد بابا التنبكتي لأبي الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 3293.

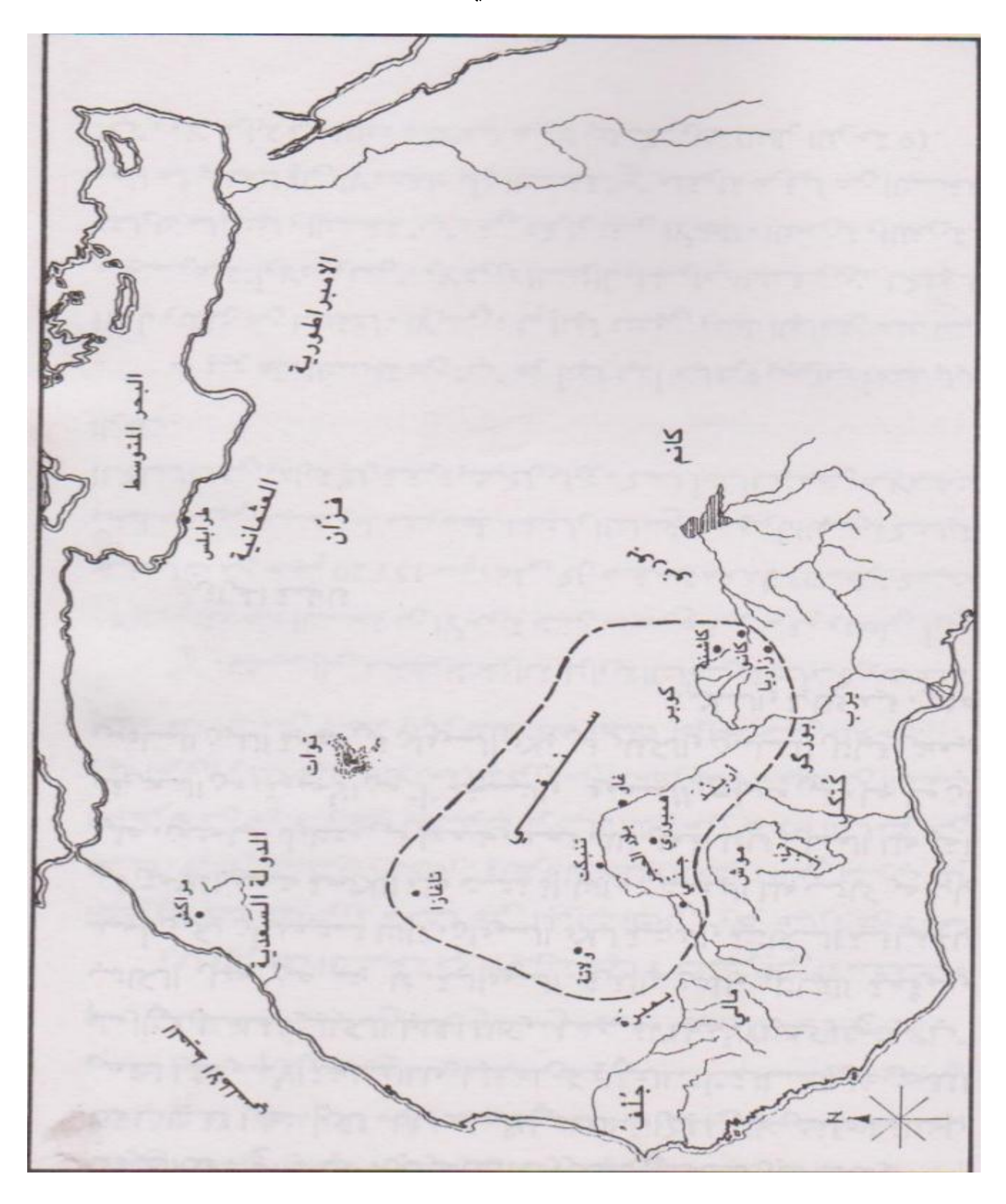
الملحق رقم 07 : وجه الصفحة الأولى من النسخة أ من مخطوط تحقيق إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا التنبكتي.

الملحق رقم 01: **موقع مدينة تنبكت على حافة منحنى نهر النيجر**



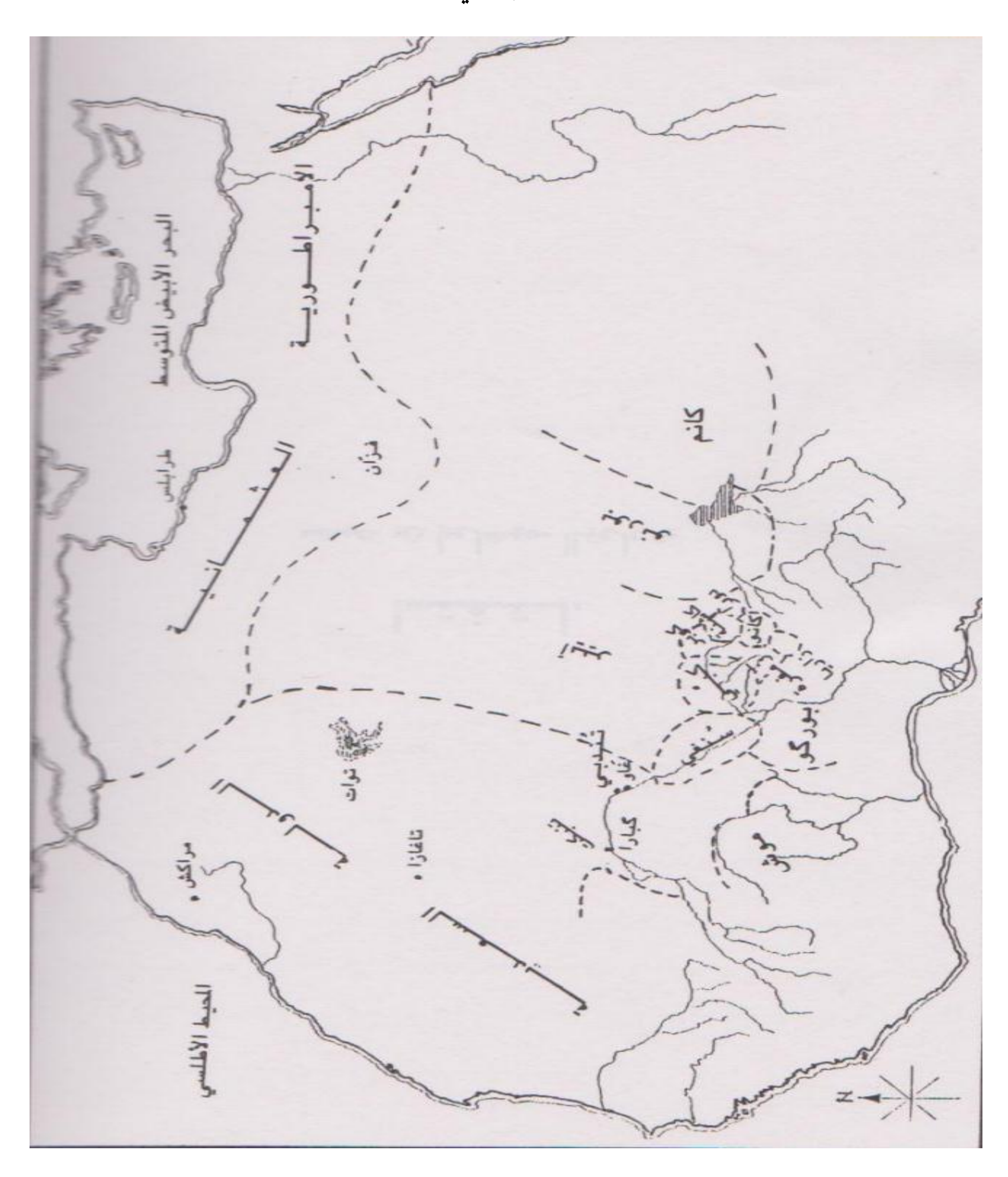
المرجع: فائزة آتي والهوارية عدو، الدور الحضاري لمدينة تنبكتو خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)، مذكرة ماستر، جامعة أدرار، 2018-2019، ص 51.

الملحق رقم 02: بلاد السودان الغربي منتصف العاشر الهجري القرن السادس عشر الميلادي.



المرجع: أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود، المصدر السابق، ص 38.

الملحق رقم 03: بلاد السودان الغربي بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي

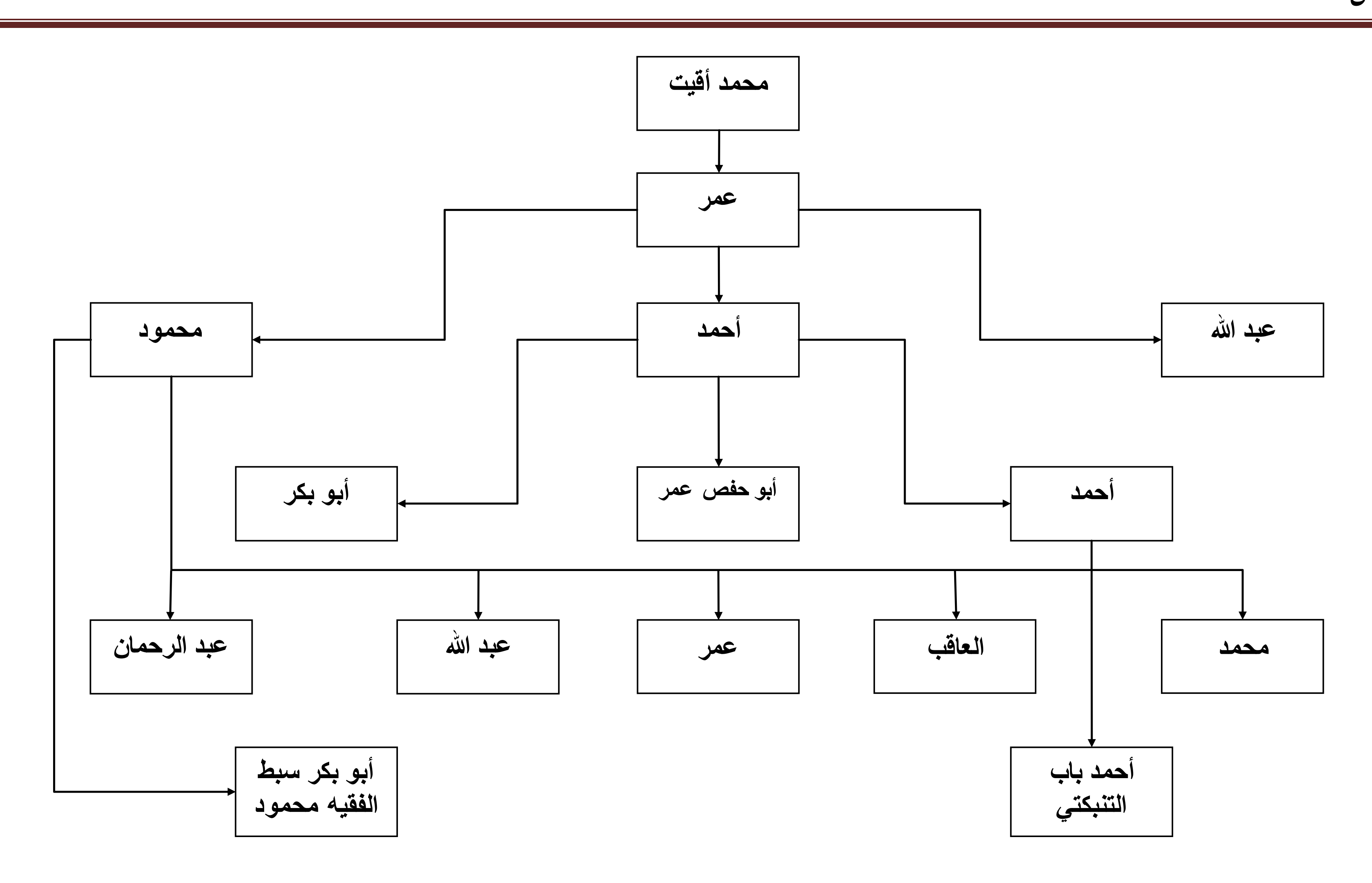


المرجع: أحمد بابا التنبكتي، معراج الصعود، المصدر السابق، ص 39.

الملحق رقم 04: قائمة بسلسلة نسب عائلة أقيت

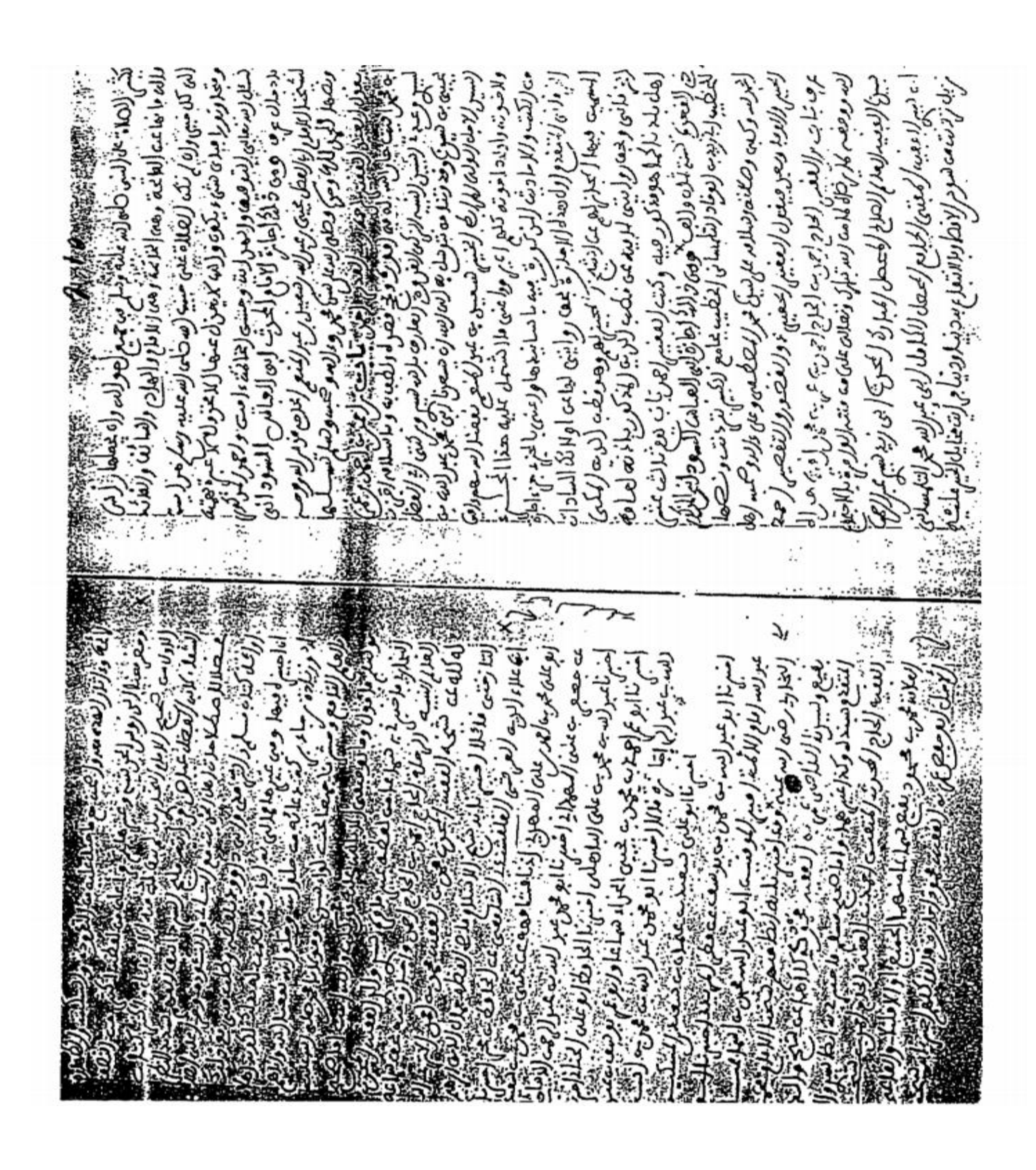
١- عمر (القرن العاشر والحادي عشر)	١٨- الحاج أحمد بر (١٤٥٨-١٥٣٥م)
٢- أبو بكر	١٩- عبد الله (١٤٦١-١٥٢٢م)
٣- أناس	٢٠- محمود (١٤٦٤-١٥٤٨م)
٤- بحر	٢١- أبو حفص عمر توفي ١٥٩٧م
٥- هـ . بـ . ران	٢٢- أحمد ١٤٨٣-١٥٢٢م) أحمد بابا (١٥٥٦-١٦٢٧م) محمد توفي في ١٦٤٧م ونانا فاطمة تاج توفيت ١٧٣٦م
٦- تابكارا	٢٣- خديجة ويجة ١٥٢٤- ١٦١٧م
٧- تاشينا	٢٤- أبو بكر ملقب بأبو بكر بر(١٥٢٦-١٥٨٣م)
٨- يحيى	٢٥- نانا حفصة (زوجة القاضي محمود)
٩- لاكي	٢٦- محمد (قاضي) (١٥٠٤ - ١٥٦٥م) [محمد الأمين توفي ١٥٩٣م]
١٠- نايكا	٢٧ - القاضي العاقب (١٥٠٧-١٥٨٣م) [عيشة إيسري توفت في مراكش ١٥٩٧م]
١١- بكر	٢٨ - أبو حفص عمر (١٥١٠-١٥٩٤م)
١٢- جدالة	٢٩- عبد الله ت ١٥٩٨م
١٣ يحيى	٣٠- عبد الرحمن توفي في ١٥٩٧م
١٤- علي	٣١- ابنة أبو العباس (توفيت في ١٥٦٨م) زوجة محمد بن سعيد
١٥- عمر	٣٢- أحمد بر (محمد قتله المغاربة في ١٥٩٣م (أبوب ت ١٦٣٠م)
١٦- محمد أقيت (نحو عام ١٤٠٠م)	٣٣- أم سلمة توفيت ١٥٩٦م.
١٧- تزوج عمر من ابنة أندغ محمد	

المرجع: سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 204.



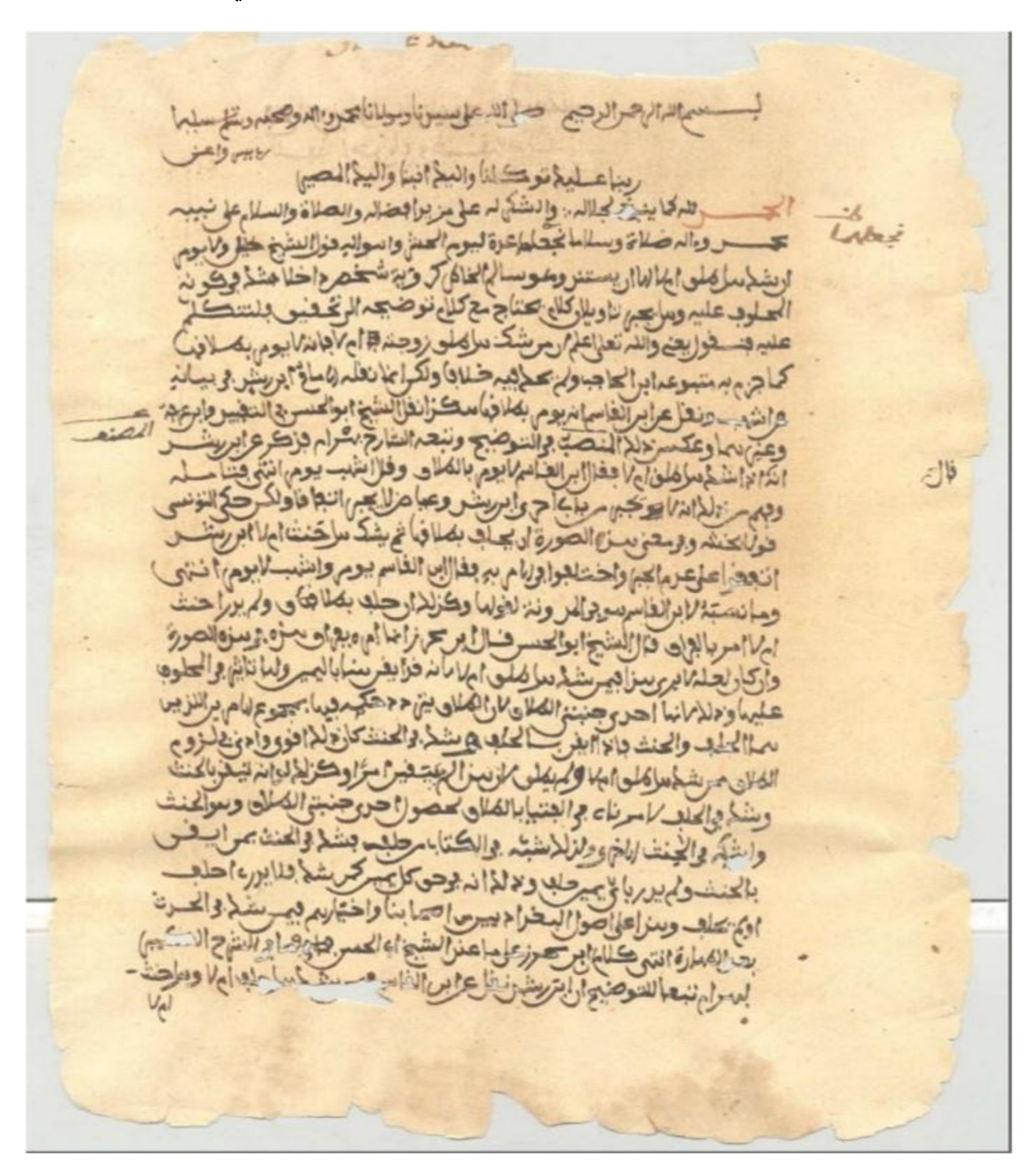
الملحق رقم 05: شجرة نسب علماء آل أقيت من إعداد الطالب

الملحق رقم 06: إجازة أحمد بابا التنبكتي لأبي الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط رقم 3293.



المرجع: سوزي أباظة، المرجع السابق، ص 213.

الملحق رقم 07: وجه الصفحة الأولى من النسخة أ من مخطوط تحقيق إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا التنبكتي


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

الحمد لله كما ينبغي لجلاله والشكر له على ما من به من إفضاله والصلاة والسلام على نبيه

محمد وآله صلاة وسلاما نجعلهما عدة ليوم الحشر

المرجع: دريسا تراوري، المرجع السابق، ص 18.

البيبليوغرافيا

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. المصادر السودانية:

- الأرواني أحمد بايير، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنكبت البهية، تحقيق: الهادي مبروك الدالي،الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001
- البرتلي أبو عبد الله الطالب بن أبي بكر الصديق الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكناني ومحمد حجي، الطبعة الأولى، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
- التنبكتي أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة ، الطبعة الثانية، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000.
- التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، الجزء الأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000.
- التنبكتي أحمد بابا، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، الجزء الثاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000.
- التنبكتي أحمد بابا، معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق، تحقيق وترجمة: فاطمة الحراق وجون هانويك، الطبعة الأولى، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000.
- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس، 1981.

- كعت محمود، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، تعليق: آدم بمبا، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، 2014.
- مجهول، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان، نشره هوداس، مكتبة أمريكا والشرق باريس، 1996.

2. المصادر العامة:

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص، الطبعة الأولى، دار إحياء علوم الدين، بيروت، 1987.
- حاجي خليفة،كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء الأول، مكتبة المثنى، بيروت.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، الجزء الأول، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي، وصف افريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
- الحموي ياقوت، معجم البلدان، المجموعة الثالثة، دار صادر، بيروت.
- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1984.

- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1406م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، الجزء السادس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000.
- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، اعتنى به مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون،الطبعة الأولى، 2005.
- الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمتعربين والمستشرقين، الطبعة الثالثة، الجزء السابع.
- السملالي العباس بن ابراهيم (ت 1378هـ/1958م)، الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام، مراجعة: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، المطبعة الملكية، الرباط، 1933.
- الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
- القادري محمد بن الطيب، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي وأحمد التوفيق، الجزء الأول، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977
- كارباخال مارمول، افريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الجزء الثالث، دار النشر المعرفة، الرباط، 1989.
- المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، الطبعة الثانية، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، الجزر الأول، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.
- مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، الجزر الثاني، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.
- المقّري أحمد بن محمد، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.
- المكناسي ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط.
- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الجزء الخامس، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.

ثانيا: المراجع:

1. الكتب:

- أحمد مهدي رزق الله، حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي غي غربي افريقية قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1998.
- باري محمد فاضل علي وسعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب افريقية تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007.

- بازينة عبد الله سالم، انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010.
- بوعزيز يحي، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- جوزيف جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطورية إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1984.
- حجي محمد، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعديين، الجزء الأول، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة الفضالة، 1977.
- حسين محاسنة محمد، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة، 2001.
- خليفة حامد محمد، يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 2003.
- الدالي الهادي مبروك ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن 13_15م، تقديم: محمد رزوق، الطبعة الأولى، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
- الدالي الهادي مبروك، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الطبعة الثانية، منشورات البحوث والدراسات الإفريقية، طرابلس، 2001.
- الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999.

- دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430هـ_515هـ/1038م_1121م، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.
- ديبوا فليكس، تنكبت العجيبة، ترجمة: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، مراجعة وتقديم: شوقي عطا الله الجمل، الطبعة الأولى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- زبايدية عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
- زبايدية عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- زكي عبد الرحمان، الإسلام والمسلمون في غرب افريقية، الجزء الثاني، مجموعة محاضرات ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، مصر.
- زيادة نقولا، إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1991.
- سيسوكو سينكي مودي، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م، المجموعة الرابعة، اليونيسكو، 1988.
- الشكري أحمد، الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230_1430م، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1999.
- طرخان إبراهيم علي، إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970.
- طرخان إبراهيم علي، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973.

- عبد الحليم رجب محمد، تاريخ المسلمين في إفريقيا (جنوبي الصحراء)، شركة سفير، القاهرة، 1996.
- عبد اللطيف علي محمد، تمبكتو أسطورة التاريخ، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001.
- الغربي محمد، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، الجزء الأول، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982.
- غيث أحمد مطير سعد، الثقافة العربية والإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين 10_11هـ/16_17م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي، دار المدار الإسلامي، مصر.
- فرج محمد فرج، إقليم توات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.
- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية عمرانية اجتماعية وثقافية، الجزء الثاني، موفم للنشر، الجزائر، 2011.
- قداح نعيم، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مر: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نيويورك.
- مبروك فاطمة محمود، العمائر الإسلامية في إمبراطورية السنغاي زمن الأسكيين (898هـ_1000هـ/1492م_1591م)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2008.
- محمود حسن أحمد، قيام دولة المرابطين صفحة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة.

- مرجان سحر عنتر أحمد، فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وسنغاي (268هـ_1000هـ /1230م_1591م)، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011.
- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2006.
- ميقا أبو بكر إسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400 إلى 1100هـ، الطبعة الأولى، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997.
- هريدي فرغلي علي تسن، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف- الاستعمار- الاستقلال، الطبعة الأولى، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2008.
- هلال عمار، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السوداء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1988.

2. المجلات:

- بنيرد الحاج، تاريخ تنبكتو منذ نشأتها إلى غاية القرن الحادي عشر الهجري دراسة ثقافية تاريخية، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، 2014.
- تراوري دريسا، حقيقة إرشاد الواقف على تحقيق معنى وخصصت نية الحالف لأحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر التنبكتي (1036هـ/1627م) _دراسة وتحقيق_، مجلة رفوف، المجموعة السادسة، العدد الثاني، 2018.
- جنيدي عبد الحميد، مدينة تنبكت (تمبكتو) نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، العدد السادس عشر، جوان 2012.

- جنيدي عبد الرحمان، المدارس ونظام التعليم في مدينة تنبكت في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، مجلة كان التاريخية، العدد التاسع عشر، دار ناشري للنشر الالكتروني، الكويت، 2013.
- حسن سوزي أباظة محمد، عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنكبت، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد السادس والعشرون، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2004.
- حموم خالد، دولة المرابطين في عهد الأمير أبي بكر بن عمر اللمتوني 448-480هـ/1056-1087م، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد العاشر، 2017.
- الذيابات آمنة محمود، أحمد بابا التنبكتي ومنهجه في كتابة نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجموعة الثالثة، العدد الثاني، 2016.
- شفشه نادية سالم، الحياة الثقافية في تنكبت (جامعة سنكري أنموذجا) من القرن 9_11هـ/13_15م، مقال بقسم التاريخ كلية التربية جامعة الزاوية، ليبيا.
- الشمراني أمل صالح غضبان، القضاء في المجتمع التنبكتي خلال القرن 10-11هـ/16-17م، مجلة عصور، العدد الثاني والثلاثون والثالث والثلاثون، جامعة أحمد بن بلة واحد، وهران، 2017.
- طرخان إبراهيم علي، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة أم درمان، العدد الثاني، 1969.
- العبيدي عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة دراسات افريقية، العدد الخامس، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1989.

- عرقوب عبد السلام عمر، النهضة الثقافية في مدينة تنكبت في عهد دولتي مالي وسنغي 1240م_1591م، مجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن، يوليو 2015.
- غيث أحمد سعد مطير، الإسهامات الثقافية لمشاهير العوائل في السودان الغربي: آل أندغ محمد أنموذجا، كلية الآداب والتربية، جامعة الزيتونة
- غيث أحمد سعد مطير، تنبكت: نشأتها وأهم مراكز العبادة فيها حتى منتصف القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر ميلادي، مجلة جامعة الزيتونة، العدد الثالث، 2012
- ميقا أبو بكر إسماعيل، أشهر علماء تنكبت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية، مجلة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الحادي عشر، الرياض، 1415هجرية.
- الهرامة عبد الحميد،، تنبكتو نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة، العدد الرابع، ليبيا، 1987.
- يعقوب علي، العائلات العلمية في السودان الغربي "دراسة وصفية"...عائلة أقيت أنمودجا، مجلة قراءات الإفريقية، العدد الرابع والأربعون، أبريل 2020.

3. الرسائل والمذكرات الجامعية:

- بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2005 _ 2006.
- بوشقيف عائشة، إسهامات علماء تلمسان في الحياة الفكرية بإقليمي توات والسودان الغربي من ق 8هـ إلى 10هـ/ 14م_16م، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2017 _ 2018.

- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (15/14م)، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2010 _ 2011.
- الشيخي ابراهيم علي حسن، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر إلى القرن السادس عشر ميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان، 2008.
- مولاي محمد، القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع الهجري حتى الثاني عشر هجري (15م_18م)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2018 _ 2019.
- الفاجالو محمد، الحياة العلمية في دولة سنغاي خلال الفترة 842هـ_1000هـ/1474م_1591م، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1993.
- قدوري عبد الرحمان، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنين 9 و10هـ/15و16م دراسة في الدوافع والنتائج، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2011_2012.
- آتي فائزة وعدو الهوارية، الدور الحضاري لمدينة تنبكتو خلال القرنين (9-10هـ/15-16م)، مذكرة ماستر، جامعة أدرار، 2018-2019.
- قحام عمار وبن شعبان سلمى، الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين 9هـ_13هـ/15م_19م)، مذكرة ماستر، جامعة قالمة، 2016 _ 2017.
- قنفود سيد علي وأمين بشير باي، الأسقيا محمد التوري (897_935هـ/1493_1530م) من خلال كتابي تاريخ الفتاش وتاريخ السودان، مذكرة ماستر، جامعة خميس مليانة، 2018 _ 2019.

- مزري بسمة، الجاليات المغاربية في مدينة تمبكتو في عهد مملكتي مالي وسنغاي بين القرنين (10هـ/11م_16م)، مذكرة ماستر، جامعة قالمة، 2016 _ 2017.
- صاط أم كلثوم، مملكة سنغاي الإسلامية، مذكرة ليسانس، جامعة سعيدة، 2016 _ 2017.

4. المراجع الأجنبية:

- Barth ch, Travels and discoveries in north and central Africa, vol 3, london, 1859.
- Paul Marty, etudes sur l’islam et les tribus du soudan, collection de la revue du monde musulman, editions Ernest Leroux, Paris, 1920.

فهرس
الموضوعات

البسملة

شكر وعرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمة .... أ–ط.

الفصل التمهيدي :لمحة تاريخية عن تنبكت من النشأة إلى الغزو السعدي

(ق 5هـ–10هـ/11م–16م) .... **10–38**.

المبحث الأول: الأصل والتسمية والموقع الجغرافي.......................................**11**.

أصل التسمية: ....11.

النشأة:...15.

الموقع: ....17.

المبحث الثاني: التطورات السياسية للمدينة..**20**.

تنكبت تحت حكم الطوارق touareg...21.

تنكبت في عهد مملكة مالي: ....21.

تنكبت تحت حكم الطوارق...24.

تنكبت في عهد مملكة صنغاي..25.

تنكبت في عهد الدولة السعدية..29.

المبحث الثالث: أهمية المدينة...32.

الفصل الأول: مـظاهر الحركة العلمية بتنبكت...........................39-66.

المبحث الأول: المراكز العلمية والثقافية.......................................40.

1-المساجد...40.

2-الكتاتيب...45.

3-المدارس...47.

المبحث الثاني: العلوم والكتب المتداولة في تنكبت..............................50.

المبحث الثالث: أهم أعلام مدينة تنكبت.......................................62.

الفصل الثاني: التعريـف بأسرة آل أقيـت.................................67-91.

المبحث الأول: أصل العائلة وأبرز أعلامها......................................68.

أصل العائلة...68.

أعلام العائلة..73.

المبحث الثاني: علاقة آل أقيت بالسلطة الحاكمة..............................81.

العلاقات العدائية...81.

العلاقات السلمية...82.

المبحث الثالث: محنة العائلة خلال الغزو السعدي.............................86.

الفصل الثالث: علماء آل أقيت وإسهاماتهم في الإنتاج الفكري.................92-118.

المبحث الأول: دورهم في العملية التعليمية...93.

مصادر تعلم العائلة..93.

دورهم التعليمي ....96.

المبحث الثاني: ممارستهم للوظائف السياسية والخطط الدينية.....................101.

توليهم منصب القضاء..101.

توليهم منصب الإمامة...102.

المبحث الثالث: مكتبات العائلة وإنتاجهم الفكري..................................105.

المكتبات ....106.

الإنتاج الفكري لعائلة أقيت..110.

خاتمة...119-122.

الملاحق...123-131.

البيبليوغرافيا..133-144.

فهرس الموضوعات...146-148.

الملخص:

تطرقت هذه الدراسة إلى دور أسرة آل أقيت التنبكتية في الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي، حيث كشفت عن أصول هذه الأسرة وظروف استقرارها بتنبكت، والجو الثقافي الذي نشأت فيه ما جعلها تبرز كعائلة علمية قامت بأدوار جليلة في الحركة الفكرية، وتجسد ذلك الدور في تصدرهم المجالس العلمية للتدريس والتعليم، ومنح الإجازات العلمية، وتقلدهم المناصب الرئيسية في القضاء والإمامة، إضافة إلى مساهمتهم الفعالة في حركة التأليف في عدة علوم دينية وأدبية، حيث كان تأثير إيجابي على تطور الحركة العلمية ببلاد السودان الغربي خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

الكلمات المفتاحية:

تنبكت– السودان الغربي– الحركة العلمية– آل أقيت– أحمد بابا التنبكتي.

Summary :

This study examines the role of the Al Aket Al Tabuktiyya in the scientific movement in western sudan, revealing the origins of this family, the conditions in which it was created; and the cultural atmosphere in which it was created; and that's what they made them as a prominent member of the intellectual movement, emerged as scientific family, leading scientific councils in teaching, scholling; judiciary ans imam, during the tenth century hijri / the sixth century AD

Keywords:

Tumbuktu- western sudan- scientific movement- Al Aket- Ahmed Babah al tanbakti

Resumen:

Con este estudio nos gustaría echar la luz sobre el papel desempeñado por la familia "*Al Akit tinbukti*" en el movimiento científico en la región occidental de Sudan, asimismo del ambiente cultural en el que nací la familia lo que le permitió ser una de las más sobresalientes familias ocupando papeles primordiales en el movimiento cultural en aquel entonces.Ademásde su adelantaría en los consejos científicos de enseñanza, también daban vacaciones científicas y ocupaban puestos cardinales en la justicia y predicación, encima de su activa contribución en el movimiento de autoría en las ciencias religiosas y literarias, provocando un impacto positivo en la evolución del movimiento científico en la región occidental en el país de Sudan en los siglos XX y XVI de la era musulmana

Palabras clave:

Tinbukt,sudan occidental, movimiento científico, Al akit, Ahmed Baba Tinbukti